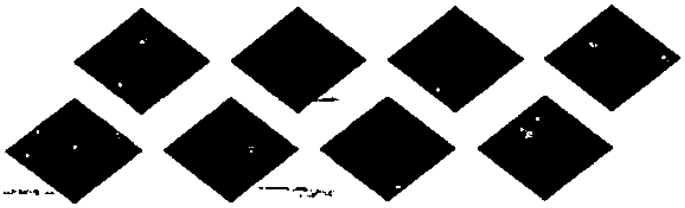

مجلة كلية الآداب بقنا (دورية أكاديمية علمية محكمة)

الخطاب الإسلامي ضوابطه وعوامل تطويره

د/ عبد الباري سليمان

كلية الحقوق بقنا – جامعة جنوب الوادى

بسم الله الرحمن الرحيم

ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ[1]

[1]- سورة النحل : الآية ١٢٥.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمد لله الذي يقول الحق وهو يهدي السبيل ، والصلاة والسلام علي نبينا محمد خاتم الأنبياء وإمام المرسلين جدد الله به رسالة السماء ، وإحياء ببعثته سنة الأنبياء ، ونشر بدعوته آيات الهداية ، وأتم به مكارم الأخلاق وعلي آله وأصحابه الذين ففقهم الله في دينه ، فدعوا إلي سبيل ربهم بالحكمة والموعظة الحسنة ، فهدي الله بهم العباد ، وفتح علي أيديهم البلاد وجعلهم أمة يهدون بالحق إلي الحق ، فشكروا ربهم علي ما هداهم إليه من هداية خلقه والشفقة علي عباده وجعلوا مظهر شكرهم بذل النفس والنفيس من أجل الدعوة إلي الله تعالي . وبعد :

فان الله تعالى قد اختار الأمة الإسلامية ليكونوا حملة دينه إلى خلقه والمبلغين دينه للناس أجمعين ، قال تعالى "كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ "[1]

لذلك كان لابد عن وسيلة لتبليغ هذه الدعوة فكان طبيعياً أن يكون الخطاب هو الوسيلة المثلى للتبليغ إلي الناس كافة .

لذلك فان قضية الخطاب الإسلامي تعتبر من أهم القضايا التي تشغل الأمة الإسلامية بما تعانيه من تحديات فكرية ، لأنه هو الأداة التي تستخدمها الأمة في التبليغ والتواصل والحوار فيما بينها من ناحية ، وبينها وبين غيرها من الأمم من ناحية أخرى ، وذلك لما يترتب على الخطاب من اعتلاء الأمة الإسلامية المكانة التي تليق بها بين الأمم عن طريق التطلع إلى الحاضر والنظر إلي الماضي الزاهر للأمة الإسلامية التي وضع أساسها سيد الخلق ((ﷺ)).

---

[1]- سورة آل عمران : الآية ١١٠.

، لذلك كان للخطاب الإسلامي الأثر البالغ في نجاح الأمة أو فشلها في إقناع الآخرين[1].

ولأن الخطاب الفكري المعاصر عاجز عن إيصال مضمون الخطاب الإسلامي السليم بمكوناته الرئيسية -"قرآنا وسنة وشريعة وأخلاقاً"- كثر الداعون إلي تجديد الخطاب الديني في هذا العصر سواء الدعوة الآتية من الغرب أو من المسلمين والدعاة أنفسهم.

ومن هذا المنطلق كان لابد من رؤية واضحة لهيكلة الخطاب الدعوي بما يتناسب ومعطيات الواقع ، ويتلائم ومتطلبات العصر ، لذلك أثرت أن أتكلم عن الخطاب الإسلامي وعوامل تطويره وليس عوامل تجديده لما تثيره هذه الكلمة من معان اختلف الفقهاء في مدلولها ،لذلك جاء بحثي تحت عنوان" الخطاب الاسلامي ضوابطه وعوامل تطويره .

وقد قسمته إلي مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة راجياً القبول من الله تعالي .

المقدمة : وقد بينت فيها أهمية الموضوع

المبحث الأول : مفهوم الخطاب الإسلامي وخصائصه

المطلب الأول : مفهوم الخطاب الإسلامي

المطلب الثاني : التأصيل التاريخي لتطوير الخطاب الإسلامي

المطلب الثالث :خصائص الخطاب الإسلامي

المبحث الثاني : ضوابط الخطاب الإسلامي

المطلب الأول : مراعاة الاختصاص.

المطلب الثاني الموضوعية والتجرد عن الأهواء

المطلب الثالث الالتزام بالأصول الثابتة.

---

[1]- د. عبدالعزيز التويجري ، الخطاب الإسلامي بين الأصالة والمعاصرة ، موقع المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة :http://www.isesco.org.ma/pub/arabic/Khitab/P2.htm

المطلب الرابع : الالتزام بأساليب اللغة العربية.

المطلب الخامس : الحفاظ على وسطية الإسلام

المطلب السادس : البعد عن التعصب المذهبي

المطلب السابع : الدعوة إلى السلام والتعايش بين بني البشر.

المبحث الثالث : عوامل تطوير الخطاب الإسلامي

المطلب الأول : عوامل تطوير الخطيب

المطلب الثاني : عوامل تطوير المخاطب

المطلب الثالث :عوامل تطوير وسيلة الخطاب

المبحث الرابع : ثوابت ومتغيرات الخطاب الإسلامي

المطلب الأول : ثوابت الخطاب الإسلامي

المطلب الثاني : متغيرات الخطاب الإسلامي

الخاتمة : وأهم التوصـــــيات و النتائــج

المبحث الأول

مفهوم الخطاب الإسلامي وخصائصه

المطلب الأول

مفهوم الخطاب لغة واصطلاحاً

أولا : مفهوم الخطاب في اللغة:

الخطاب هو مراجعة الكلام ، يقال قد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطاباً والمخاطبة مفاعلة من الخطاب.[1]

وقد ورد لفظ الخطاب في عدة مواضع في القرآن الكريم منها:

١) قوله تعالى "وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ "[2]

٢) قوله تعالي " وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا"[3]

٣) قوله تعالى "وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ"[4]

ثانيا: مفهوم الخطاب في الاصطلاح:

اختلفت وجهات نظر المتخصصين في مفهوم الخطاب الإسلامي إلي أكثر من مفهوم ، لذلك سوف نذكر بعضاً من هذه التعريفات علي النحو التالي :

١ – الخطاب هو: إيصال الأفكار إلى الآخرين بواسطة الكلام المفهوم ، واللغة في ذلك هي أداة الخطاب أو وعاء الأفكار[5].

٢– الخطاب هو: كل نطق أو كتابة تحمل وجهة نظر محددة من المتكلم أو الكاتب ونفترض فيه التأثير على السامع أو القارئ ، مع الأخذ بعين الاعتبار مجمل الظروف والممارسات التي تم فيها[1].

---

[1]– لسان العرب لابن منظور مادة خطب.ج١٠ ص٢٠١ ط دار المعارف مصر

[2]– سورة ص : الآية ٢٠.

[3]– سورة الفرقان : الآية ٦٣.

[4]– سورة هود : الآية ٣٧.

[5]– دور الخطاب الديني في دعم المرأة سياسياً، ورقة عمل مقدمة لمؤتمر الحقوق السياسية للمرأة –الأقصر، مصر، البرنامج التنموي للمرأة والطفل التابع للمجلس القومي للمرأة ، يناير ٢٠١١.

٣- الخطاب الديني: ما يطرحه العلماء والدعاة والمنتمون إلى المؤسسات الإسلامية في بيان الإسلام والشريعة، سواء كان ذلك من خلال الخطاب أو المحاضرات أو التأليف أو البرامج الإسلامية الأخرى ، وقد يدخل في ذلك المناهج الدراسية الدينية في المدارس والجامعات الشرعية بل يمكن أن يوسع مفهوم الخطاب ليشمل النشاط الإسلامي والدعوة وعمل الجماعات الإسلامية والمؤسسات العلمية والدعوية.(٢)

٤- الخطاب الإسلامي: هو الخطاب الذي يستند لمرجعية إسلامية من أصول القرآن والسنة وسائر الفروع الإسلامية الأخرى ، سواء أكان منتج جماعة إسلامية أو مؤسسة دعوية رسمية أو أهلية أم أفراداً متفرقين جمعهم الاستناد الديني وأصوله، وإذا قلنا الخطاب الإسلامي الموجه إلى غير المسلمين يقصد به الوسيلة التي يخاطب بها المسلمون العالم والمنهاج الذي يوصلون من خلاله أفكارهم وآراءهم ومواقفهم التي يريدون ايصالها إلى القطاع الأوسع من الرأي العام العالمي ، وذلك عبر وسائل الإعلام والتواصل المختلفة من مقروءة ومرئية ومسموعة.(٣)

فإذا قلنا الخطاب الإسلامي فإننا نقصد خطاب الدين الإسلامي الذي نزل به الروح الأمين على قلب سيد الخلق (ﷺ) ليكون من المنذرين للناس كافة بلسان عربي مبين ليخرجهم من الظلمات إلى النور ويهديهم إلى صراط الله العزيز الرحيم.(٤)

---

[1]- "تأويل الخطاب الديني في الفكر الحداثي الجديد" أحمد عبدالله الطيار- حولية كلية أصول الدين بالقاهرة، العدد (٢٢) (٢٠٠٥م)، المجلد الثالث، ص ١٢.

[2]- تجديد الخطاب الديني د/ سلمان فهد العودة :مقال منشور على شبكة الانترنت http://saffar.org/?act=artc&id=2

[3]- الخطاب الإسلامي دلالة المفهوم والمصطلح ، د/ عصام البشير: صـ٢ ، ورقة مقدمة في الندوة العلمية المتخصصة في قضايا الدعوة الإسلامية ، السودان ، ٢٠٠٨م.

[4]- تجديد الخطاب الديني لماذا؟ عزيز عبد الواحد : منشور على شبكة الانترنت http://tawasol/maBalat/mgo/o200039-0-htm.

فالخطاب الإسلامي يتم عن طريق اتصال شخص أو هيئة بالجماهير سواء كانت ذات نوعية خاصة أو عادية، جماهير مرتبطة بإقليم معين أو منطقة معينة أو العالم أجمع.[1]

و الخطاب الإسلامي يرتبط بالإعلام ووسائله وإن كان العاملين للإسلام لا يبذلون إلا جهد المقل في تهيئة وإعداد الكوادر البشرية المؤهلة والمؤثرة في مجال الإعلام الإسلامي.[2]

٥- الخطاب الديني: هو التعامل الفقهي مع الواقع واحتياجاته بأسلوب حكيم ضمن ثوابت الدين.[3]

٦= الخطاب الديني المعاصر: هو كل حديث مقروء أو مسموع أو مرئي ، فهو لا يتوقف على كتاب أو كلام فحسب ، وإنما يتعداه ليشمل كل ألوان الخطاب الذي يمارسه المسلمون بعلمائهم ومؤسساتهم ومؤلفيهم بغاية إيصال مضامينه وأفكاره إلى الآخر.

ويؤخذ من هذه التعريفات بان الخطاب الإسلامي مفهوم واسع يشمل الخطبة والدرس والفتوي والمقال والكتاب وما يتسع لغيرها من جميع قوالب العرض لمضامين الإسلام ، بالإضافة إلي الأساليب والمقاصد والغايات التي ترسم ملامح ومنهجية الخطاب الإسلامي [4].

---

[1]- المسئولية الإعلامية في الإسلام د/ محمد سيد محمد : ، صـ٢٤ ، ط مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م ، دار الرفاعي بالرياض.

[2]- التليفزيون الإسلامي ودوره في التنمية د/ عادل الصيرفي ، يحيى بسيوني : ، صـ٨٨ ، ط عالم الكتب.

[3]- صحيفة الوسط البحرينية ، العدد ١١٩٠ ، الجمعة ٩ ديسمبر ٢٠٠٥ ، ٨ ذي القعدة ١٤٢٦.

[4]- تجديد الخطاب الدعوي التحديات والآمال- د/عطية عدلان مجلة البيان العدد(٣١٤) شوال ١٤٣٤ه - سبتمبر ٢٠١٣ م.

المطلب الثاني

التأصيل التاريخي لتطوير الخطاب الإسلامي

حفل التاريخ الفقهي الإسلامي بعصور المجتهدين الذين أثروا الفكر الإسلامي وقعدوا القواعد المنهجية المتكاملة وبينوا الثوابت واجتهدوا في المتغيرات بحسب القواعد المسموح بها ، ولا يكاد عصر من العصور يخلو من مجتهدين أكفاء

ففي القرن الثامن الهجري ظهرت مدرسة شيخ الإسلام ابن تيمية التجديدية باجتهاداتها التي خالفت فيها بعض المألوف والمأثور في مسائل مختلفة [1].. وفي القرن نفسه ؛ كان في المغرب الأندلسي : الإمام الأصولي أبو إسحاق الشاطبي صاحب (الموافقات) .

وفي القرن التاسع ظهر في مصر الإمام السيوطي الذي كتب رسالته القيمة في الرد على من قيد الاجتهاد بعصر معين وأثبت في كتابه هذا من وصلوا إلى مرتبة الاجتهاد من العلماء ، ومن خالفوا مذاهبهم في عدد من المسائل ، وإن لم يعلنوا أنهم مجتهدون : وقال السيوطي : إن الناس يدعون اجتهادا واحدا ، وأنا أدعي اجتهادات ثلاثة : اجتهاد في اللغة ، واجتهاد في الحديث ، واجتهاد في الفقه [2].

وفي القرن الثاني عشر ظهر في الهند ظهر ولي الدين الدهلوي ليجلي علوم الحديث ، ويخفف من التعصب للمذهب الحنفي ، وصنف جملة كتب في هذا الاتجاه ، أهمها كتابه الفريد (حجة الله البالغة) في أسرار الحديث الشريعة . وفي نفس العصر ظهر علامة اليمن محمد بن إسماعيل الأمير الشهير بـ (الصنعاني) صاحب (سبل السلام) وغيره وفي القرن الثالث عشر ظهر علامة اليمن محمد ابن على الشوكاني الذي ملأ الدنيا علما في الأصول والفروع ، وترك وراءه آثار علمية تجديدية ، تشير إليه ، وتدل عليه ، مثل : (نيل الأوطار) و (السيل الجرار) و(الدراري المضيئة)

---

[1]- في التشريع الإسلامي- د/ محمد نبيل غنايم – ص ٤٧- ط دار الهداية للطباعة – القاهرة – الطبعة الأولي- سنة ١٤٠٧ه ١٩٨٦م .

[2]- المدخل للفقه الإسلامي – د/ محمد علي محجوب – ص ١١٧ ، ١١٨- ط شركة ناس للطباعة – القاهرة . ـــــ

(إرشاد الفحول) في علم الأصول ، و(فتح القدير) الجامع بين الرواية والدراية في التفسير ، وغيرها . وكلها تنحو منحى الاجتهاد .[1]

وفي هذا العصر ظهر الإمام محمد عبده وجمال الدين الافغاني ومحمد بن عبد الوهاب والإمام المهدي والسنوسي وغيرهم-الكثير الذي نادي بنبذ التعصب المذهبي والعودة بالفقه الإسلامي إلي مصادره الأولي[2] .

ثم ظهرت في هذه السنوات عدة دعوات تنادي بتجديد الخطاب الإسلامي سواء الدعوة الآتية من الغرب او من المسلمين والدعاة أنفسهم[3].

لذلك أخذ الغرب يغزو العالم الإسلامي غزواً ثقافياً، وأتخذ لذلك الجمعيات الثقافية باسم العلم والإنسانية، وكانت هذه الأعمال حلقات متصلة أحدثت أثراً بليغاً، ومن نتائجها ما نعانيه اليوم من ضعف وانحطاط[4].

حيث يؤكد مصدروا هذا الخطاب أن الصراع الدولي القادم هو صراع حضارات، والحضارات في تصورهم تتمحور حول الأديان، فكل دين يمثل حضارة.[5]

لذلك امتد نفوذهم إلى محاولة التأثير على المجتمعات العربية والإسلامية من خلال تجفيف منابع الدين داخل هذه المجتمعات، والعمل على تغيير مناهج التربية والتعليم[6].

إلا أن هذا الدين محفوظ؛ كما قال تعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [7]، ولا تزال فيه طائفة قائمة ظاهرة على الحق، فلم ينله ما نال غيره من الأديان من تحريف كتبها وتغيير شرائعها مطلقاً، لِمَا يُنْطِقُ الله به القائمين بحجة الله وبيناته الذين يحيون بكتاب الله

---

[1]- تجديد الخطاب الديني. د/ سلمان فهد العودة .

[2]- د/ علي حسن الخربوطلي – تاريخ العالم الإسلامي – ص٢٤٦ – ط معهد الدراسات الإسلامية سنة٣٩٦ ه –١٩٧٦م .

[3]- ثقافة التقريب في الخطاب الديني المعاصر. د/ علي رمضان الأوسي : ص ٢٢

[4]- تقي الدين النبهاني – الدولة الإسلامية "، الطبعة السابعة، دار الأمة للطباعة والنشر، بيروت، من منشورات حزب التحرير،(٢٠٠٢) ص١٨١.

[5]- الخطاب الديني والصراعات الدولية " عبدالعزيز شادي "، مجلة شؤون عربية، تصدر عن الأمانة العامة لجامعة الدول العربية(٢٠٠٢) ، ص١٤٨.

[6]- الخطاب الديني بين التجديد الإسلامي والتبديد الأمريكاني' د/ محمد عمارة – دار الشروق الدولية، القاهرة.ص ١٢٢ سنة (٢٠٠٤) "

[7]- سورة الحجر الآية : ٩.

الموتى، ويُبَصِّرُونَ بنوره أهل العمى؛ فإن الأرض لن تخلو من قائم لله بحجة، لكيلا تبطل حجج الله وبيناته [1].

لذلك انقسم العلماء والفقهاء حول تلبية هذه الدعوة بين فريق يرفض دعوات التجديد باعتبار أن التغيير في هذا الوقت محفوف بخطرين الأول خطر الإذعان للضغوط المدججة بالسلاح والمال، والثاني خطر تمكين الأفكار اللادينية لترويج فكرها المستورد تحت عنوان التجديد والتطوير وإنما هو التبديد والتخريب[2]

وبين فريق ينظر إلي عملية التجديد بأنها مشروعة طالما إن التجديد لا يطال الثوابت وإنما هو تطوير للمنهج وفهما للواقع ولمقتضيات العصر، فلاشك أن التجديد هو إعادة الشيء إلى أصله أو على مثل ما كان عليه، ومن الأدلة على تطوير الخطاب ما روي عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال:(إن الله يبعث على رأس كل مائة سنة لهذه الأمةِ من يجدد لها دينها) [3]

فالحديث يقصد به إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل قرن من الزمان من يعيد الأمة إلى مسارها الصحيح، ويبدد عنها الانحرافات والضلالات التي أصابت الأمة عبر قرن من الزمان، ومسار الأمة الصحيح إلى يوم القيامة هو كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ

كما روي المغيرة بن شعبة أن الرسول ﷺ قال:لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين حتي يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون[4].

إن الدين في أصوله و كلياته العقائدية والتعبدية والأخلاقية والشرعية لا يتغير ولكن الذي قد يتجدد هو أسلوب تعليمه والدعوة إليه ، لا محتوى هذا التعليم. فأن الفتوى تتغير بتغير الزمان والمكان والعرف والحال ،والفتوى تتعلق بأحكام الشرع فإن

1- ابن تيمية "مجموع الفتاوى"، باب رسالة في الهلال، الجزء السادس، ص ٦٨.ط دار الكتب العلمية – بيروت– لبنان .

2- خصائص خطابنا الإسلامي في عصر العولمة د/ يوسف القرضاوي ص ١٦– ١٨

3- رواه أبو داوود في سننه في كتاب الملاحم، باب ما يذكر في قرن المائة ، الجزء الرابع، ص420 رقم ٤٢٩٣– ط د دار التراث ــ وقال عنه "رواه عبد الرحمٰن بن شريح لم يجز به شراحيل "

4- خصائص خطابنا الإسلامي في عصر العولمة د/ يوسف القرضاوي ص ١٦– ١٨مقال منشور عام ٢٠٠٧ م

تغير الدعوى والخطاب أحق وأولى ،فما يقال للمسلمين غير ما يقال لغير المسلمين وما يقال للمسلم الحديث عهد بالإسلام غير ما يقال للمسلم الغير حديث عهد بالإسلام ،وما يقال للناس في قرية غير ما يقال للناس عبر قنوات الفضاء ويشاهده ويسمعه العالم ، لا شك أن هناك أقدارا مشتركة تقال للجميع ويخاطب بها الجميع ولكن يبقى هنا خصوصية كل فئة التي توجب على العالم والداعية أن يوجه لها خطاباً خاصاً يجيب عن تساؤلاتها ،ويحل مشكلاتها ويرد على شبهاتها[1]

ولكن ما معنى التجديد المطلوب ؟

إن التجديد المطلوب هو الذي لا يمس الثوابت التي لا تتغير بتغير الزمان والمكان والإنسان من العقائد والعبادات ، وأصول الفضائل والرذائل ، والأحكام القطعية في ثبوتها ودلالاتها ، فالتجديد لا يمس هذه الثوابت إلا من جهة أسلوب عرضها ، أما غير الثوابت فهي التي يدخلها الاجتهاد والتجديد وهي معترك لإفهام أهل العلم أو الفقهاء ، ففيها مجال للاجتهاد الجزئي والكلي والاجتهاد المقيد والاجتهاد المطلق [2]

---

[1]- خصائص خطابنا الإسلامي في عصر العولمة د/ يوسف القرضاوي ص ١٦- ١٨مقال منشور عام ٢٠٠٧ .

٢- دلالة المفهوم والمصطلح ، د / عصام البشير: الخطاب الإسلامي صـ٢ ، ورقة مقدمة في الندوة العلمية المتخصصة في قضايا الدعوة الإسلامية ، السودان ، ٢٠٠٨م

المطلب الثالث

خصائص الخطاب الإسلامي

يتميز الخطاب الإسلامي بعدة خصائص منها :

١- خطاب عالمي واضح فهو يخاطب العالم بأجمعه دون النظر إلى أجناسهم وديانتهم وألوانهم لذلك خاطبهم بـ "يا بني ادم" و"يا أيها الناس" "وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ "[١] "وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ [٢] .

وذلك ليعلم الجميع أن الإسلام دين عالمي يجب الإذعان له قال تعالى "هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ"[٣] لذلك فإن شدة وضوح الإسلام هي سبب انتشاره شرقاً وغرباً.[٤]

٢- خطاب شمولي حيث يشمل جميع مناحي الحياة سواء العلاقات التي تنظم الإنسان بخالقه وبنفسه، أم بغيره من بني الإنسان ، ففيه الخطاب السياسي كقوله تعالى "وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ [٥] ، وفيه الخطاب الاقتصادي كقوله تعالى "وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ"[٦]

---

[1]- سورة سبأ : الآية ٢٨.

[2]- سورة الأنبياء : الآية ١٠٧.

[3]- سورة إبراهيم : الآية ٥٢.

[4]-المسئولية الإعلامية في الإسلام ، د/ محمد سيد محمد : صـ٤١.

[5]- سورة المائدة : من الآية ٤٩.

[6]- سورة البقرة : الآية ٢٧٥.

، وفيه الخطاب الاجتماعي "وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ"[1]

٣- خطاب يحقق الطمأنينة والسعادة ، وذلك لأن التزام المؤمنين بأحكام الله تعالى في الأرض من شأنه ان يكتب لهم السعادة والأمن في الدنيا والآخرة، فيزول عنهم الخوف ويتحقق لهم الأمن وتملأ قلوبهم القناعة والطمأنينة، قال تعالى "فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى "[2]

، وإذا اعتمد المؤمنون في حياتهم على الدين مكن الله لهم في الأرض وأزال عنهم الخوف وتحقق لهم الأمن وملئت قلوبهم بالسكينة، وهو الحل الوحيد الذي يوافق فطرة الإنسان، ويملأ العقل قناعة والقلب طمأنينة[3]..

٤- خطاب مؤثر وعقلاني ، حيث أنه يخاطب فطرة الإنسان السليمة ويحرك عواطفه الدفينة ، حيث جعل الوليد بن المغيرة يوصفه بقوله " وأنه إن لقوله لحلاوة وإن عليه لطلاوة ، وإنه لمثمر أعلاه ، مغدق أسفله وإنه ليعلو ولا يعلي عليه، وإنه ليحطم ما تحته " ، وهو الذي جعل الطفيل بن عمرو الدوسي يقول لما سمع خطاب القرآن من الرسول ﷺ (فلا والله ما سمعت قولا قط أحسن منه ولا أمرا أعدل منه)[4]

---

[1]- سورة النور: من الآية ٣٣.

[2]- سورة طه : الآية ١٢٣ ، ١٢٤.

[3]- نظام الإسلام " تقي الدين النبهاني " ، ط٦، من منشورات حزب التحرير(٢٠٠١)، ص٥.

[4]- السيرة النبوية لابن هشام ، الجزء الأول ص٢٤.، ط دار الفجر للتراث دار الفجر للتراث الطبعة الأولي، سنة (١٩٩٩م)

، لذلك وجلت منه قلوب الذين آمنوا وازدادت إيماناً، قال تعالى إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ"[1]

فالخطاب الإسلامي يمد المؤمنون بالطاقة الروحية التي تجعل من الضعيف قوياً ومن المهزوم منتصراً.

وهو أيضاً خطاب يتوافق مع العقل البشري وبغير فهمه يصبح العقل أسير الهوى والضلال والتخلف ، حيث كان يحرص على إقناع المخاطبين بالحجة والبرهان، ويطرح القضايا بناء على أسس منطقية سليمة، لا بد للعقل السليم أن يسلم بها، قال تعالى "وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ"[2]

فما تضمنته الشريعة من مبادئ وأحكام لا تناقض العقل ولا يمكن أن يحدث تناف أو تعارض بينهما لأن الشريعة نسق من الأحكام المترابطة التي تستهدف جملة من المقاصد الكلية يندرج تحتها جملة من الأحكام الفرعية [3]، فالشريعة معقولة ، والعقل مطالب بالوقوف على أحكامها وعللها ومقاصدها عن طريق الفهم العميق .[4]

٥- خطاب ثابت من ناحية ومرن من ناحية أخرى ، فهو خطاب ثابت لا يتغير بتغير الأزمنة والأمكنة وذلك بالنسبة للأحكام قطعية الدلالية ، أما الأحكام

1- سورة الأنفال : الآية ٢.

2- سورة الأعراف : الآية ١٧٩.

3- العلاقة بين حاكمية الوحي واجتهاد العقل - د/ عبد المجيد السوسوة - بحث منشور بمجلة الشريعة والدراسات الإسلامية- الكويت العدد(٣٩) ١٤٢٠ هـ- ١٩٩٩ م ص ٤٢.

4- جدل العقل والنقل في الفكر القديم - د / محمد الكتاني- ط دار الثقافة -الدار البيضاء - المغرب - الطبعة الأولي - ١٤١٢هـ-١٩٩٢م ص٦٨١ .

الأخرى فهي تتغير وتتبدل ، فإذا أخذت قضية ما حكم ما ، ثم ظهر واقع جديد يقتضي حكم آخر فإن هذه القضية تأخذ هذا الحكم المغاير للحكم الأول ، أيضاً فان أساليب ووسائل الخطاب تتغير وتتبدل طبقاً للسامع والمتكلم، والتي هي مصدرها الكتاب أو السنة.

يقول الإمام ابن حزم : إذا ورد النص من القرآن أو السنة الثابتة في أمر ما على حكم ما وضح أنه لا معنى لتبدل الزمان ولا لتبدل المكان ولا لتغير الأحوال وإن ما يثبت فهو ثابت أبداً.[1]

أما النوع الثاني فهي الأحكام التي ليس مصدرها النص وإنما مصدرها اجتهاد قياسي ، أو مصلحة ، أو عرف ، فهي قابلة للتبديل والتغيير طبقا لمقتضيات الحاجة او الضرورة [2]

---

[1]- الأحكام في أصول الأحكام لابن حزم ، جـ٥ ، صـ٧٧١ – ٧٧٤ ، الباب الثالث والعشرون ، ط دار الحديث ، القاهرة ، ١٤٠٤هـ.

[2]- إعانة اللهفان من مصائد الشيطان لابن القيم الجوزيه ، جـ١ ، صـ٢٧٣ ، ط دار التراث العربي ، القاهرة ، ١٩٨٣م.

المبحث الثاني

ضوابط الخطاب الإسلامي

ينبغي علي المشتغلين بالخطاب الإسلامي من الدعاة والباحثين وغيرهم مراعاة عدة ضوابط أثناء تناولهم لأي قضية من القضايا وتتمثل هذه الضوابط فيما يلي :

١- **مراعاة الاختصاص:**

الخطاب الإسلامي هو أولاً خطاب من عند الله ومبلغ هذا الخطاب لابد وأن يتسم بشروط معينة منها أن يكون من أهل الاختصاص ، وأن يتصف بالعلم والصدق ، فان من أخطر ما نواجهه في هذا العصر هو التكلم في أمر الدين من غير المتخصصين ، وهذا أمر خطير ومسئولية عظيمة ، وقد حرم الله سبحانه القول بغير علم وجعله من أعظم المحرمات ،قال تعالى "قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ [١] .

فالقول على الله بغير علم ذكر من المحرمات ، وأيضاً قوله تعالى " وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ "[٢]

ويقول النبي (صلى الله عليه وسلم) "من أفتى بغير تثبت فإن إثمها على من أفتاه"[٣] ، لذلك نرى كثيراً من الناس يتكلمون بغير علم وخاصة في الفضائيات لما كان لذلك من عظيم الأثر على الفقه الإسلامي ، وترتب على ذلك عدم احترام العلماء وعدم طاعتهم لتأول بعضهم وتعديه علي الفتوى ، وكان الأحرى بهم أن

---

[1]- سورة الأعراف : الآية ٣٣.

[2]- سورة النحل : الآية ١١٦.

[3]- أخرجه أبو داوود في سننه ج ٣ ص ٣٣٤ – حديث رقم ٣٦٥٧ ط دار الحديث – قال الشيخ الالباني "حديث حسن ،الأدب المفرد للبخاري"ص ١٦٧- باب من أشار علي أخيه بغير تثبت -رقم ٢٥٥ – ط دار ابن كثير- سنة ١٤١٤- ه.١٩٩٣ م.

يتقوا الله وأن يعوا خطورة المهمة ، ولقد كان السلف (رضوان الله عليهم) يود كل واحد منهم أن يكفيه إياها غيره وإذا تعينت عليه بذل جهده في معرفة حكمها من الكتاب والسنة ، قال عبد الرحمن بن أبي ليلى "أدركت عشرين ومائة من الأنصار من أصحاب النبي (صلى الله عليه وسلم) ما منهم رجل يسأل عن شيء إلا ود أن أخاه كفاه ولا يحدث حديثاً إلا ود أن أخاه كفاه"[1]

فيجب أن لا يتصدر للخطاب الإسلامي إلا من كانت له علاقة بعلوم الإسلام وفنونه ، وأن تكون لديه قدرة على الاستدلال بالنصوص وإنزالها في منازلها، وأن يكون لديه علم بقواعد الاستدلال والإطلاق والتقييد والنسخ والمصالح والمفاسد.[2]

٢- <u>الحفاظ على وسطية الإسلام:</u>

من ضوابط الخطاب الإسلامي أن يكون محافظاً على الوسطية الإسلامية التي تجمع بين براهين العقل وأدلة الشرع بأن يكون وسطياً في أطروحته جميعها ، بأن يكون وسطاً في قضايا المعاملات بما فيها من عدل ورحمة ومنع للظلم والجور الذي حرمه الله على نفسه ، وأن يتسم بالوسطية أيضاً في أمور العبادات بما فيها من يسر وسهولة وعدم تكليف الإنسان بما لا يطاق فإن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه وأن يتسم بالوسطية، أيضاً في القضايا الاقتصادية والقضايا الأسرية[3]

فنحن في هذا العصر بأمس الحاجة إلى أن نعيش الوسطية عقيدة وفكراً وسلوكاً ونتحلى بدور الشهادة على كافة الأمم، قال تعالى "وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً

---

[1]- الخطاب الإسلامي د/ إبراهيم الدرويش : حوار أجراه معه عبد الله الزهراني ، ١/١/٢٠١٠.

[2]- سمات الخطاب الإسلامي ، د/ جمال فتحي محمد نصار: بحث مقدم إلى مؤتمر الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين ، بيروت في الفترة من ٢٨ – ٢٩/٧/٢٠١١م.

[3]- سمات الخطاب الإسلامي د/ جمال فتحي نصار: ص ٤.

وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا "[1] فالوسطية تقرب ولا تنفر وتجمع ولا تفرق وتبني ولا تهدم.[2]

ولذلك ينبغي على الفقيه أن يبتعد عن التشديد في الأمور التي تعم جمهور الناس وتتصل بحياتهم الاجتماعية مراعياً فيهم الضعيف والكبير والمريض وصاحب الحاجة ، كما جاء في الحديث "من أم الناس فليخفف فإن فيهم الكبير والمريض وذا الحاجة".[3]

والتيسير على الناس إنما يكون في الفروع التي هي مجال الاجتهاد وخاصة فيما يتعلق بمصالح المجتمع من القضايا التي تستجد على الساحة ، لذلك يقول النبي (صلى الله عليه وسلم) "يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا [4]. .

والمراد من التيسير كل دعوة تحبب الله تعالى إلى عباده في عبادته وطاعته ، فإذا نهج المجتهد إلى التبشير والتيسير فقد فاز وهدي إلى صراط مستقيم ، أما التنفير فهو النهج الذي ينتهجه البعض بطريقة تنفر الناس من شرع الله مثل الترهيب الدائم والتخويف المستمر بذكر العذاب والوعد والوعيد دون الكلام عن النعيم ورحمة الخالق عز وجل بعباده .[5]

---

[1]- سورة البقرة : الآية ١٤٣.

[2]- ثقافة التقريب في الخطاب الديني المعاصر. د/ علي رمضان الأوسي : ص ٢٢

[3]- رواه البخاري في صحيحه، صـ٧٠٤ كتاب الصلاة باب من ام الناس فليخفف، ومسلم في صحيحه، صـ٤٦٦.ط دار الحديث

[4]- رواه البخاري، كتاب الأدب، باب الرفق في الأمر كله، رقم (٦٠٢٤)، ومسلم ، كتاب السلام ، باب النهي عن تلقي الركبان ، رقم (٢١٦٥

[5]- الخطاب الإسلامي المعاصر – د/ ماهر أحمد السوسي : صـ١٠ ، ١١، محاضرة بقرية الفنون والحرف ، جمعية-القدس للبحوث الإسلامية ، مايو ٢٠١٠م.

٣- البعد عن التعصب المذهبي:

من ضوابط الخطاب الإسلامي البعد عن التعصب لأي مذهب من مذاهب العلماء وترك ما عداه ، فيرى أن ما ذهب إليه من مذهب هو الصحيح وما عليه الآخرون من مخالفي رأيه هو الخطأ. [١]

فالتعصب صفة ذميمة تحمل الإنسان ، وتدفعه إلى الميل عن جادة الصواب ، لذلك ذم العلماء التعصب ، فقال ابن تيمية "وأما التعصب لأي من الأمور بلا هدى من الله فهو عمل الجاهلية ومن أضل ممن اتبع هواه ، ومن المؤسف كثرة الحديث عن قضايا الخلاف المذهبي بغير هدى من الله ، مما يترتب عليه من تعبئة طائفية ، وخاصة عند عامة الناس فتشب الفتن وتكثر الأحقاد والضغائن بين الناس[٢].

وقد ذُكِر عن الأئمّة الأعلام أقوالٌ تنبذ التعصُّب، وتنهى عنه، وتنصُّ على الأخذ بالدليل وإن كان مُخالفًا لقولهم؛ وهذا من تعظيمهم – رحمهم الله – للنص .

قال الإمام أبو حنيفة: إذا جاء عن النبيِّ – صلَّى الله عليه وسلَّم – فعلى العين والرَّأس. وقال الإمام مالك: ما مِن أحدٍ إلاَّ ويُؤخذ من قوله ويُترك، إلاَّ صاحب هذا القبر – وأشار إلى قبر النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم . .

وقال الإمام الشافعيُّ: كلُّ ما قلت، وكان قول رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – خلاف قولي مما يصحُّ، فحديث النبيِّ – صلَّى الله عليه وسلَّم – أولَى، ولا تقلِّدوني[٣]. .

وقال الإمام أحمد: لا تكتبوا عنِّي شيئًا، ولا تقلِّدوني، ولا تقلِّدوا فلانًا وفلانًا – وفي رواية: مالكًا، والشافعيَّ، والأوزاعي، ولا الثوريَّ – وخُذُوا من حيث أَخَذوا.

---

[1]- الخطاب الإسلامي بين الواقع والمأمول ، محمد بن موسى الشريف ، صـ٢١.

[2]- مجموع الفتاوي لابن تيمية ج١١ ص ٢٢ .

[3]- في التشريع الإسلامي د/ محمد نبيل غنايم –ص ٤٥، ٤٦– ط دار الهداية للطباعة – القاهرة – الطبعة الأولي– سنة ١٤٠٧هـ ١٩٨٦م

وقال الشوكاني"فعليك أيها العامل بالكتاب والسنة المبرأ من التعصب والتعسف أن تورد عليهم حجج الله وتفتح عليهم براهينه ، وإنه ربما انقاد لك منهم من لن يستحكم داء التقليد في قلبه ، وأما من استحكم في قلبه هذا الداء فلو أوردت عليه كل حجة وأقمت عليه كل برهان لما أعارك إلا أذناً صماء ، وعيناً عمياء ، ولكنك قمت بواجب البيان الذي أوجبه القرآن. [1]

ومن المسلم به أن الباحث المنصف لا يستطيع أن يصل إلى الفهم الصحيح لنص فقهي إلا من خلال البحث في جميع الآراء الفقهية دون التعصب لرأي معين.

ومما يجب البعد عنه أيضاً التقليد الأعمى أثناء تناول الخطاب الإسلامي بغير اقتناع عقلي أو دليل يقيني ؛ لأن الحكمة المرادة من نبذ التقليد هو تحريك العقل لينهض بوظيفته ، ويقوم بدوره ، فلا يحاكي السابقين بل يجتهد ويفكر بعقله.[2]

٤- <u>الالتزام بالأصول والثوابت:</u>

من ضوابط الخطاب الإسلامي ضرورة الالتزام بالفقه الإسلامي ومصادره المعتمدة المتمثلة في الكتاب والسنة والإجماع والقياس وغير ذلك من الأدلة المعتبرة ، فكل ما ثبت بدليل قطعي الدلالة لا يجوز التأويل فيه أو الاجتهاد ، وكل ما علم من الدين بالضرورة يجب الإيمان والاعتقاد به ولا يجوز الاجتهاد فيه[3]

فالعقائد الأساسية والسمعيات لا تقبل الاجتهاد ، أما الفرعيات وما جرى فيها من خلاف فالفقهاء المختلفون فيها بين الأجر والأجرين فمن اجتهد فأصاب فله أجران ومن اجتهد فأخطأ فله أجر واحد.[4]

---

[1]- نيل الاوطار للشوكاني ، جـ١ ، صـ٢٢١ ، ط دار الفكر ، بيروت.

[2]- مجموع الفتاوي لابن تيمية، جـ١١ ، ص ٢٢ ، ط دار الكتب العلمية- بيروت -لبنان.

[3]- تفسير فتح القدير للكمال بن الهمام ، جـ٤ ، صـ١٠٤ ، ط مؤسسة الرسالة.

[4]-موضوع الخطاب الديني وسماته ، د/ ماهر أحمد السوسي - ، صـ٦ ، مايو ٢٠١٠.

٥- الالتزام بأساليب اللغة العربية:

عالمية الخطاب الاسلامي تقتضي فهم العالم أو الداعية لعقائده وتاريخه وثقافاته وتطلعاته وهذا لت يتأتي الا بفهم اللغة التي يتم بها الخطاب لتوصيله الي الناس كافة، واللغة التي يفهمها جل العرب هي العربية الفصحي التي نزل بها القرآن الكريم وبها تكتب الكتب وتنشر الجرائد فهي الأساس الذي يبني عليه الخطاب الإسلامي ، أما اذا كان المخاطبون لا يفهمون اللغة العربية فيجب علي الداعية ان يفهمهم الخطاب بلغتهم ، قال تعالي " وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء "[١]

ولأجل ذلك اهتم علماء أصول الفقه بالمباحث الدلالية لأهميتها في استنتاج الأحكام الشرعية من النصوص الدينية . لذا نجدهم فى كتبهم يعالجون مسائل العلاقة بين اللفظ والمعنى والحقيقة والمجاز والاشتراك اللفظى والترادف والعام والخاص وغير ذلك.كذلك نجدهم يستعرضون أنواع الدلالات اللغوية وغير اللغوية. [٢]

واللغة العربية هي شرط من شروط الاجتهاد لأن النصوص الشرعية جاءت من عند الله بألفاظها لذلك كانت اللغة العربية من الضوابط التي يقوم عليها الخطاب الإسلامي لما فيها من مزايا وخصائص ميزها عن غيرها من اللغات.

٦- الدعوة إلى السلام والتعايش بين بني البشر:

دعا القرآن الكريم والسنة النبوية المظهرة إلى بناء جسور المودة والإخاء مع كافة البشر دون النظر إلى دينه قال تعالى"يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ "[٣]

لذلك دعا الإسلام إلى التقارب بين بني البشر وهذا يدعو إلى التعاون والمساعدة والمودة.لذلك كانت رسائله (صلى الله عليه وسلم) إلى الملوك والأمراء

---

[1]- سورة إبراهيم آية ٤

[2]- جريدة الاتحاد الإماراتية تاريخ النشر ٥- ابريل ٢٠١٣

[3]- سورة الحجرات : من الآية ١٣.

والحكام خارج الجزيرة العربية دلالة على انفتاح الإسلام على الآخرين . ، قال تعالى "وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ "[1].

فالأخلاق الفاضلة والمعاملة الحسنة تذيب حبال الأوهام والعداءات بين بني البشر وتهيئ النفس لاستقبال النداء الإلهي ، والدعوة الإسلامية خاصة في هذه الأيام بحاجة إلى الحوار الهادئ المبني على قيم التسامح ، بينما يتسبب بعض الحمقى في تشويه العقيدة ويقطع السبل بالآخرين للوصول إلى الحق.[2]

لذالك زرع الإسلام فى نفوس أهله المسالمة لمن سالم ، والجهاد ضد المعتدي قال تعالى " وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ "[3]

ولذلك وضع التشريع الإسلامي الأسس التى يبنى عليها التعامل بين الشعوب مع إشعار الناس جميعاً بروح العدل والمساواة لكي تتبادل الأمم المنافع والثقافة ، مع تنمية شعور الأخوة فى الإنسانية وتقوية الروابط البشرية من غير ظلم ولا عدو على أحد ، وذلك من أجل العيش فى ظلال من الحرية آمنين على أنفسهم وأعراضهم وأموالهم[4].

1- سورة الأنبياء : الآية ٧.

2- إصلاح الفكر الإسلامي مدخل إلى نظام الخطاب في الفكر الإسلامي المعاصر، طه جابر العلواني ، صـ٩ ، سلسلة قضايا إسلامية معاصرة.

3- سورة الأنفال الآية (٦١)

4- تاريخ الفقه الإسلامي صـ ٢٠. د/ محمد أنيس عباده- القاهرة

٧- الموضوعية والتجرد عن الأهواء:

يجب على من يمارس الخطاب الإسلامي أن يكون عمله لله خالصاً وألا يتبع هواه ويأمر أو ينهي لحظ نفسه ، فإن من فقد الإخلاص ولم يتحرى الصواب أوقعه الشيطان في الهوى فإتباع الهوى هو الذي أفسد الديانات السابقة وأوجد الفرقة بين أصل الدين الواحد. [١]

لذلك ذم الله تعالى الذين يعرفون الحق ولكنهم يكتمونه ولا يطيقونه فقال "الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ"[٢]

وكان الصحابة (رضوان الله عليهم) يرجعون إلى الحق عن الخطأ ، ولا يحول بينهم وبينه أي مكانة اجتماعية أو رأي خاطئ ذكروه ، لذلك رجع عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) عن فتواه بجعل حد أقصي للمهور عندما عارضته امرأة وقالت له يا عمر أيعطينا الله وتمنعنا وتلت قوله تعالى "وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً أتأخذونه بهتاناً وإثماً مبيناً" فقال عمر (رضي الله عنه) أصابت امرأة وأخطأ عمر. [٣]

إن الشريعة الإسلامية هي ضابط الرأي الذي يصونه من الانحراف والانزلاق نحو الهوي الشهوات ، قال تعالي {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا[٤]}وقال أيضاً {مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ }[٥]

---

[1]- رسالة في الخطاب الديني ، صـ٦٤.

[2]- سورة البقرة : الآية ١٤٦.

[3]- حقوق الإنسان في الإسلام ، د/ عبد الرحمن العدوي : صـ٢٥ ، ط الصفا والمروة أسيوط.

[4]- سورة الأحزاب الآية (٣٦)

[5]- سورة غافر الآية (٤)

المبحث الثالث

عوامل تطوير الخطاب الإسلامي

إذا كان الخطاب عامة رهيناً للتطوير والتبديل، دون تحفظ أو اشتراط ، فإن خطابنا الإسلامي له وضعه الخاص، فهو لا يتغير ولا يتبدّل في جوهره، أي في ثوابته الأساسية المرتكزة على مكونه الشرعي مهما تغير الزمان والمكان والمتلقى، وبدون هذه الثوابت، أو بالمساس بها فان هذا الخطاب لا يمثل حقيقة الإسلام وخصائصه، أما المكوّن الآخر ففيه يكون الاجتهاد والتطوير بما يراعي المخاطبين وظروفهم العامة والخاصة زماناً ومكاناً .

إن الدعوة إلى تجديد الخطاب الديني التي أثارها البعض لها معنيان :

الأول: تغيير الثوابت الإسلامية وهذا ممنوع بإجماع العلماء والفقهاء ،

الثاني: تغيير الأسلوب أثناء طرح الموضوعات أو أحد الآراء الاجتهادية التي تتواكب مع العصر طبقاً للحاجة او المصلحة وهذا مطلوب ، فالإصلاح في خطاب الدعاة والوعاظ والمفتيين والباحثين باعتباره فهماً بشرياً لنصوص الدين في سياق مجتمعي أمر مقبول.[1]

فالمطلوب هو إصلاح خطاب الدعاة والوعاظ والخطباء والباحثين من حيث الأسلوب أو كيفية الطرح.

لذلك سوف نتحدث عن عوامل تطوير الخطاب الإسلامي في ثلاثة مطالب

المطلب الأول : عوامل تطوير الخطيب

المطلب الثاني : عوامل تطوير المخاطب

المطلب الثالث : عوامل تطوير وسائل الخطاب

---

[1]- الخطاب الإسلامي مشكلة أم حل ، تركي العجبان- جريدة الأيام البحرينية ، ١٨/١٠/٢٠٠٩م ، العدد ٨٥٥٨ ، السنة الرابعة والعشرون.

المطلب الأول

عوامل تطوير الخطيب

الخطيب أو الداعية هو العنصر الأهم في الخطاب الإسلامي ،فبدونه لا يرتفع للخطاب بناء، ولا تقوم له قائمة ، لذلك وجب إعداد الدعاة والعلماء الذين يجمعون بين الرؤية المعرفية الإسلامية والرؤية العصرية مع العلم والعمل معاً للنهوض بالخطاب الإسلامي ، لذلك لابد من ثمة عوامل واجب توافرها في الداعية أو الخطيب بيانها كالتالي :

العامل الأول : إخلاص النية

الإخلاص أمر نفسي ووازع ديني لا يؤتيه الله إلا للعلماء العاملين المخلصين حتى يؤتي الخطاب ثمرته ، ولا يتحقق الإخلاص إلا بحضور القلب واستحضار النية والتوجه بالعمل كله الي الله رب العالمين [1] ، قال تعالى "هو الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ"[2]، وقال أيضاً "وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ"[3]

لذلك لا ينجو من وسوسة الشيطان إلا من كان مخلصاً لله عز وجل في القصد والعمل، قال تعالى " إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ فَوَاكِهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ "[4]

ومن السنة النبوية المطهرة هناك أحاديث كثيرة تبين أهمية الإخلاص منها : ما رواه أبو أمامه قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أرأيت رجلاً غزا يلتمس الأجر والذكر يعني يريد الأجر من الله عز وجل ويريد أن يذكر فيقال فلان مجاهد

---

[1]- في التشريع الإسلامي ص د/ محمد نبيل غنايم – ١٠١ .

[2]- سورة غافر الآية ٦٥

[3]- سورة البينة الآية ٥

[4]- سورة الصافات الآيات ٤٠-٤٣

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " لا شيء له ثم فأعادها ثلاث مرات ثم قال " أن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً وابتغي به وجهة " [1]

وفي حديث آخر عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلي الله عليه وسلم قال الله تبارك وتعالى " أنا أغني الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه غيري تركته وشركه " [2]

لذلك ينبغي علي الخطيب أن يكون مخلصاً لله في خطابه يبغي به وجه الله ، فلا ينظر إلى العائد المادي من أدائه ، ولا يدعو لكي يقال عليه فلان متكلم ، فلان وأعظ ، وغير ذلك ، فإذا أخلص الداعية في خطابه فإن كلماته تقبل عند المدعو وتصل إلي قلبه وعقله.

العامل الثاني : العلم والحكمة

العلم هو فهم الأحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية ، قال تعالى" قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ"[3] وقال أيضا" وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ[4] ويقول الرسول- ﷺ" من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة[5]

ولكي يكون الداعية عالماً لابد وأن يكون عنده فهم للواقع فلابد أن يبحث في فقه الأحوال المعاصرة ، والعوامل المؤثرة في المجتمعات، والقوى المهيمنة على الدول ، والأفكار الموجهة لزعزعة العقيدة ، والسبل المشروعة لحماية الأمة ورقيها في الحاضر

---

[1]- رواه النسائي في سننه ج ١ ص٢٣٣ كتاب الإيمان رقم ٣٠٨٩ وقال " هو حديث حسن الإسناد ط دار الكتب – العلمية – بيروت – لبنان

[2]- رواه مسلم في صحيحة ج ١ ص٤٤ كتاب الإيمان رقم ٢٩٨٥ – ط دار إحياء التراث العربي – بيروت ، شرح النووي علي صحيح مسلم ص ٤١٠ رقم٢٩٨٥–ط دار الخبر سنة ١٤١٦ه–١٩٩٦م

[3]- سورة الزمر الآية ٩

[4]- سورة العنكبوت الآية ٤٣ .

[5]- رواه الترمذي في سننه ٢٨/٥ ــ كتاب العلم ــ باب فضل طلب العلم ــ رقم ٢٦٤٦ ، الدارمي في سننه ١١٠/١ ــ باب فضل العلم والعالم رقم ٣٤٢ .

والمستقبل والحكمة هي معرفة الأشياء على ما هي عليه بما تبلغه الطاقة والحكيم هو المتقن للأمور[1]

وقيل هي معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم [2]

وقيل هي الإصابة في القول والفعل [3] قال تعالى " يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ " [4]

وروى ابن عباس رضي الله عنهما انه قال : ضمني النبي صلى الله عليه وسلم إلى صدره وقال : اللهم علمه الحكمة " [5]

فالحكمة صفة يعطيها الله ويهبها لمن يشاء من عبادة تجعل صاحبها يفرق بين الحق الباطل والنافع والفاسد ولا يتكلم إلا بخير ، وهذا لا يكون إلا بفهم القرآن والفقه والسنة وحقائق الإيمان [6]

لذلك لابد وأن يتصف الداعية بالحكمة والقول اللين فيعرف حقائق الأمور ، ويكون صائباً في أغلب الأمور قولاً وفعلاً .

أما الحلم فمعناه اللين والرحمة أثناء معاملة الناس، فهم دائماً في حاجه إلى كنف رحيم ورعاية فائقة وبشاشة سمحة ، حتى تتجمع عليها القلوب وتتألف حولها النفوس.
قال تعالى " فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ"[7]
فالحلم هو سعة الخلق ، وإذا وجد العلم بدون الحلم فلا فائدة منه ويترتب على ذلك سوء

1- مختار الصحاح للرازي ص ٦٢ .
2- لسان العرب منظور ١٢/١٤ .
3- جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٣/٩٠ ط دار الفكر – بيروت .
4- سورة النحل الآية ١٢٥ .
5- رواه البخاري في صحيحة ج ١ ص ٦٥٦ – باب فضائل الصحابة رقم ٣٧٥٦ ، فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل – باب فضائل عبدالله بن عباس رقم ١٣٧٨ – ط دار الريان للتراث سنة ١٤٠٣ ه – ١٩٨٣م.
6- أنوار الأصول في أحاديث الرسول للترمذي ج ٤ ص ١١ ط دار الجيل – بيروت .
7- سورة آل عمران الآية ١٥٩ .

الخلق والتكبر بسبب العلم ، وري عن الحسن رضي الله عنه قال : ما سمعت الله تحل عبادة شيئاً أقل من الحلم قال تعالى : " إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ "(١) .

فإبراهيم علية السلام تحمل أثقال الأمر ، فابتلى بالنار والغربة وذبح الولد فجاد بنفسه وكان حليماً في كل ذلك (٢)،

لذلك يجب على الداعية أن يكون حليماً حتى يكون قدوة لغيره من المخاطبين.

العامل الثالث : أن يعمل الداعية بما يقول

فالقدوة أهم الأسس التي يبني عليها الخطاب الإسلامي فلابد أن يعمل الداعية بما يقول فتكون حياته نبراساً للآخرين ، قال تعالى" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ"(٣) وروى أسامه بن زيد رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يجئ بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتنزلق أقدامه في النار فيدور كما يدور الحمار برحاه فيجتمع أهل النار عليه ويقولون : أي فلان ما شأنك أليس كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر قال : كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه وأنهاكم عن المنكر وآتيه (٤)

فهذا يدل على أن الداعي إلى الله لابد وأن يكون ذا عمل صالح يدعو إلى الله بلسانه وأفعاله وسيرته حتى يقتنع بكلامه الآخرون ، وهكذا كان حال الرسل عليهم أفضل الصلاة وأذكى السلام ، والكثير من الناس ينتفعون بسيرة العالم العامل وأخلاقه وكيفية تعامله مع الآخرين أكثر مما ينتفعون بأقواله ، لان أفعاله غلبت أقواله (٥).

ولقد كان رسولنا صلى الله عليه وسلم الإنسان الكامل ، والنموذج والقدوة والأسوة الحسنة الذي أمر الله تعالى المؤمنين بالتأسي به .

1- سورة هود الآية ٧٥

2- أنوار الأصول في أحاديث الرسول للترمذي ج ٤ ص ١٢ .

3- سورة الصف الآية ٢

4- رواه البخاري في صحيحة ج ٤ص٢٣٣- كتاب الأدب – باب الأمر بالمعروف المنكر ٣٢٦٧

5- الإسلام وتطوير الخطاب الديني، رابطة الجامعات الإسلامية ، ص:١٦-١٨.

قال تعالى " لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ " [1]

وروي عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال : لم يكن النبي صلي الله عليه وسلم فاحشاً ولا متفحشاً وكان يقول : "إن من خياركم أحسنكم أخلاقاً" [2]

فقد كان خلق المعصوم صلى الله عليه وسلم القرآن كما قالت السيدة عائشة رضي الله عنها " كان خُلق رسول الله صلى الله عليه وسلم القران "

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول :

"إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم "[3]

العامل الرابع : الصبر وتحمل المشاق

الصبر هو مكابدة النفس على الطاعات وكفها عن السيئات والاحتساب على البلاء ، فالصبر له أهمية كبرى أثناء مسيرة الداعية ، ولذلك تحمل الأنبياء والرسل المشاق العضال، وصبروا على قومهم ، فالأعمال أما طاعة أو معصية

وكل صبر على الطاعة فهو صبر عن المعصية ، لان ترك المعصية طاعة

قال تعالى على لسان لقمان الحكيم " يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ " [4]

فالداعية إذا لم يصبر ويتحمل المشاق فلن يستمر في أداء واجبه فلا بد له أن ينتظر ثمرة دعوته ولا يتعجل في قطفها ، وذلك لكي يستمر في الدعوة ويداوم عليها بلا

---

[1]- سورة الأحزاب الآية ٢١

[2]- رواه البخاري في صحيحه ج ٣ ص ١٣٠٦ – كتاب المناقب – باب صفة النبي صلي الله عليه وسلم – رقم ٣٣٦٦ ، فتح الباري شرح صحيح البخاري ج٣ ص ٦٦٥ ط دار الريان للتراث سنة ١٤٠٧ه-١٩٨٦م.

[3]- رواه أبو داوود في سننه كتاب الأدب – باب في حسن الخلق ج ٤ ص ٦٥ – رقم ٤٨٠٠ .

[4]- سورة لقمان الآية ١٧

انقطاع، ويتوكل على الله ويعمل الواجب دون النظر إلى النتائج قال تعالى " وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ"[1]

لذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم صابراً محتسباً على أذى قومه ثابتاً في دعوته ، لا يكل ولا يمل رغم جحود قومه وغلظة قلوبهم وإيذائهم له ، ويدل على ذلك ما رواه سعد بن أبي وقاص قال : قلت للنبي صلى الله عليه وسلم أي الناس أشد بلاء قال الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل يبتلى العبد على حسب دينه فإن كان في دينه صلباً اشتد وإن كان في دينه رقة ابتلى فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه من خطيئة [2]

---

[1]- سورة إبراهيم الآية ١٢

[2]- رواه الترمذى في سننه - ج٢ ص ٢٣٤

المطلب الثاني

عوامل تطوير المخاطب

لابد من توافر عدة عوامل يجب مراعاتها في المخاطب، نظراً لان طريقة الدعوة تختلف بحسب المخاطب ، فالخطاب الموجه لغير المسلمين يختلف عن الخطاب الموجه للمسلمين ؛لان الغاية في الخطاب ان يؤتي الخطاب ثمرته .

وسوف نبين فيما يلي مخاطبة غير المسلمين، ثم نبين مخاطبة المسلمين ، وذلك في فرعين:

الفرع الاول : مخاطبة غير المسلمين

غير المسلمين مصطلح يطلق على أهل الكتاب من اليهود والنصاري ،وكذالك الوثنيون والمجوس وغيرهم مما لا دين له ،وهذه الفئات لابد من ثمة قواعد يجب اتباعها فى مخاطبتهم لدعوتهم إلى الإسلام، وتتمثل هذه القواعد فى الاتى:

أولا : إبلاغ دعوة الإسلام بالتدرج

لابد ان تصل دعوة الإسلام الى غير المسلمين بلغتهم التى يفهمونها من خلال الأسس والمبادئ التى يقوم عليها الإسلام ويدعو اليها ،والرد على الشبه التى تروج ضد الإسلام عن طريق إقناعهم بالحجج والبراهين ، ولابد بعد ذلك ان يبدأ الداعية بدعوتهم الى توحيد الله عز وجل وعدم الإشراك به ؛لان جميع الأعمال والمعتقدات مبنية على مبدأ التوحيد، ثم تأتى دعوتهم الى الإيمان بالنبى صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين ، ثم يبدأ الداعية بتعليمهم الصلاة ثم فرائض الإسلام ،ويدل على ذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم حينما بعث معاذ بن جبل الى اليمن أمره بان يبدأ بدعوتهم الى التوحيد ثم الصلاة والزكاة وسائر الأركان، فقال له النبي صلي الله عليه وسلم: انك تقدم علي قوم من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم اليه ان يوحدوا الله تعالي، فإذا عرفوا ذالك فاخبرهم بان الله فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم، فاذا صلوا فاخبرهم بان الله قد افترض

عليهم زكاة فى أموالهم تؤخذ من غنيهم وترد الي فقيرهم ، فإذا اقروا بذلك فخذ منهم ، ثم ابدأ معهم بالأهم فالاهم [1]

فالنبي صلي الله عليه وسلم امر معاذ بان يتدرج معهم في التشريع لما في ذلك من التلطف في الخطاب فلو طالبهم بالجميع لأول مرة لم يأمن النفرة .

ثانياً : عرض الدعوة باللين والحكمة

لابد للداعية اثناء خطابه لغير المسلمين أن يترفق معهم بالقول اتباعاً للسنة والسلف الصالح فلابد ان تكون الدعوة باللين والحكمة حتي ولو كان غير المسلمين طغاة جبارين مصداقاً لقول الله تعالي لموسي وهارون عندما أرسلهما لدعوة فرعون " اذهبا الي فرعون انه طغي فقولا له قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشي "[2]

وان يكون الجدال معهم بالحسني دون سب ألهتهم أو دينهم وان يبتعد عن التقليل من شأنهم قال تعالي " ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن"[3] وقال ايضاً " ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم"[4]

فقد نهي الله سبحانه وتعالي المؤمنين عن سب الهة المشركين وان كان فيه مصلحة الا أنه يترتب عليه مفسدة أعظم وهي مقابلة المشركين بسب إله المؤمنين[5].

ثالثاً : دعوة العقول بالحجة والبرهان

كذلك لابد أن يتسم سلوك الداعية مع غير المسلمين بالتركيز علي الأدلة العقلية التي تؤدي إلي الإيمان اليقيني بعقيدة الإسلام ويكون ذلك برد الشبه التي يثيرها البعض ضد الإسلام بالحجج والبراهين المبنية علي العقل ، وذكر المعجزات والحقائق العلمية والإسرار

---

[1]- فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ج ٣ ص ٣٥٧

[2]- سورة طه الآية " ٤٣ ، ٤٤

[3]- سورة العنكبوت الآية ٤٦

[4]- سورة الأنعام الآية ١٠٧

[5]- تفسير الطبري ج ٥ ص ٣٠٤ – ط دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الرابعة سنة ١٤٢٦ ه – ٢٠٠٥ م ، تفسير ابن كثير ج ٤ ص ١٦٢ .

الكونية التي نص عليها القران العظيم ، وأقوال النبي صلي الله عليه وسلم ، وربط ذلك بالعصر الحاضر الذي انتشر فيه العلم ، و ظهرت فيه الاكتشافات العلمية والتقنيات الحديثة ، ثم يقوم الداعية بعد ذلك بذكر الأدلة النقلية المتمثلة في نصوص القران الكريم وأحكامه وسنة النبي صلي الله عليه وسلم . "[1].

رابعاً: إبراز رحمة الإسلام في معاملة غير المسلمين

علي الداعية أيضا أن يسلك في مخاطبة غير المسلمين بالتعريف بموقف الإسلام من معاملة المسلمين ، وإبراز ما كان عليه النبي صلي الله عليه وسلم من معاملة غير المسلمين وخاصة اليهود والنصاري وما كان عليه الخلفاء الراشدين والصحابة رضوان الله عليهم وكيف كانوا يعاملون المخالفين لدينهم، وذكر المواقف الذاخرة للصحابة رضوان الله عليهم التي تؤكد علي قيم العدل والإنصاف والمساواة بين أفراد المجتمع ، سواء أكانوا مسلمين ام غير مسلمين ، مصداقاً لقوله تعالى " يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم "[2].

فالنبي محمد ﷺ دعي إلى مبدأ المساواة ، وعلمه لأصحابه من بعده ، فهاهو على بن أبى طالب رضي الله عنه حينما خاصمه يهودي إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكان خليفة للمسلمين فنادي علياً بقوله : قف يا أبا الحسن فظهر الغضب على وجه الأمام على ، فقال له عمر أكرهت أن نسوى بينك وبين خصمك فى مجلس القضاء ، فقال على : لا يا أمير المؤمنين ولكنني غضبت لأنك عظمتني فى الخطاب فناديتنى بكنيتي ولم تنادى على خصمي مثلما ناديتنى .

وها هو الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقد مر بباب قوم وعليه سائل شيخ كبير ضرير البصر فضرب عضده من خلفه وقال له : من أى قوم أنت قال : أنا يهودي فقال له عمر : فما ألجأك إلى ما أرى قال : أسأل الجزية والحاجة والسن ، فأخذه عمر بيده و رضخ له بشئ من منزله ، وأرسل إلى خازن بيت المال فقال له : أنظر هذا

---

[1]- في التشريع الإسلامي – د/ محمد نبيل غنايم – ص ٧٢ .

[2]- سورة الحجرات من الآية (١٣).

وضربائه فوالله ما أنصفناه إن أكلنا شبيبته وخذلنا شيبته ، ووضع عنه الجزية وجعل له راتباً من بيت مال المسلمين[1].

الفرع الثاني : مخاطبة المسلمين

اما الخطاب الموجه الي المسلمين فيختلف اختلافاً جزئياً عن الخطاب الموجه لغير المسلمين وتتمثل وسائل مخاطبة المسلمين في الاتي :

أولا : أن يشتمل الخطاب علي تربية النشيء وتهذيبه:

التربية هي اللبنة الأولي التي ينشأ من خلالها الإنسان وتؤثر في بنائه الشخصي وفي أقواله وأفعاله ، فلابد من الاهتمام بالنشيء وذكر النموذج المثالي للمرء المسلم، ونبذ ما عدا ذلك من النماذج الاخري الدخيلة علي المجتمع المسلم والثقافة الإسلامية ،والموروثات التي تتفق والشريعة الإسلامية ، وذكر صفات المؤمنين الصالحين كما في قوله تعالي " قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكاة فاعلون والذين هم لفروجهم حافظون الا علي أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين فمن ابتغي وراء ذلك فأولئك هم العادون "[2]

لذلك وجب على الداعية تهذيب وتربية النشئ الصغير على الأخلاق والقيم وذكر النماذج الحسنة التي تؤثر فيهم بالإضافة إلى واجب الوالد في تهذيب وتربية الصغير.

فلا ينتشر التعليم إلا بمعرفة القراءة والكتابة، بيد أن تعلمها يكون السبيل إلى تحصيل عنصر مهم من عناصر الدين، وهو القرآن، ولذلك افتدى النبي ــ ﷺ ــ عشرة من أسرى بدر بتعليم أبناء المسلمين القراءة والكتابة[3]، كما أنه أمر معاذ بن جبل ــ رضي الله عنه ــ أن يتعلم لغة اليهود ، كذلك أرسل الرسل إلى البلاد ليعلموا ويتعلموا[4]

---

[1]- الخراج لأبى يوسف صـ ١٢٦- المكتبة السلفية- دار المعرفة ط سنة ١٣٩٦ هـ.

[2]- سورة المؤمنون الآيات من ١ -٨ .

[3]- زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم ٥٩/٥ .ط دار الفكر بيروت

[4]- المغنى لابن قدامة المقدسي ١٠٠/٩. ط دار الفكر ــ بيروت ــ د.ت .

وإذا فرغ الصبي من تعلم القرآن وحفظ أصول الفقه نظر عند ذلك إلى ما يراد أن تكون صناعته فيوجه لطريقه ، بالإضافة إلى دراسة اللغة دراسة الرسائل والخطب ومناقلات الناس ، ومحاوراتهم وما أشبه ، وعنى بخطه ، وإن أراد أخرى أخذ به فيها[1]

وعلى الوالدين أن يعلما ولدهما الكتابة وما يتقن به دينه من فرائضه وسننه ، والسباحة والرمي ، وأن يورثه طيباً ، وعلى ولي الصغير تعليمه الطهارة وسائر الشعائر وعليهم نهيه عن المحرمات وتعليمه الواجبات وذلك بعد بلوغه عشر سنين[2]

والإسلام يدعو أتباعه إلى التعليم والتعلم ولم يقف بهم عند حد اعتبار ذلك حقاً لهم ، وإنما اعتبر ذلك فريضة عليهم[3]، وتأتي فرضية العلم كما يعلل الفقهاء من أن تعلم العلم يعتبر من جهة عبادة لله كما يعتبر من جهة أخرى خلافة لله على الأرض ، ولأجل ذلك فتح الله على قلب العالم العلم الذي هو أخص صفاته، وجعله للناس مرجعاً في أمورهم ، وعلى ذلك فالعلم الدنيوي النافع المحمود علم مطلوب؛ لأنه يحقق للإنسان الإمتاع الروحي[4].

ثانيا : تعليم الناس ما ينتفعون به

ينبغي على الداعية أن يركز في خطابه فيما ينتفع به الناس ويحتاجون إليه ، أما الأشياء الأخرى غير النافعة فلا جدوى من ذكرها ، كذلك ذكر بعض الخلافات الفقهية في بعض المسائل ، والتركيز على الآراء الشاذة أمر لا فائدة من ذكره أمام عامة الناس ، بل قد يؤدى إلى زعزعة الإيمان في قلوب ضعفاء الإيمان أو الجهلاء ، أو الذين لا يفهمون لغة الخطاب ومقصوده فيفهمون عكس ما يقول .

---

[1]- رسالة السياسة للشيخ الرئيس ابن سينا ص١٠٤ ــ ط مؤسسة الجامعة ــ الإسكندرية

[2]- الآداب الشرعية والمنح المرعية لابن مفلح المقدسي ١/٤٦٠. ـ ط مؤسسة الرسالة ـ د.ت.

[3]- حاشية البجيرمي ١/١٦٤: ط المكتبة الإسلامية ـ ديار بكر ـ تركيا.

[4]- الإسلام وحقوق الإنسان ــ د / صبحي عبده سعيد ــ ص٢٤٥ــ٢٤٧ . ط جامعة القاهرة والكتاب الجامعي ــ الناشر دار النهضة العربية ــ القاهرة ــ سنة ١٩٩٤م

ثالثا: الحث علي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يجب على الناس عامة على سبيل الكفاية لكنه في حق العلماء والحكماء واجب عيني والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو سبب خيرية هذه الأمة قال تعالى : " كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ " [1]

فالله سبحانه وتعالى ربط بين الأيمان به الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ووصف عباده الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر باسم من الصالحين ، قال تعالى **(يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ)** [2]

وروى عن ثعلبة الحشنى رضي الله عنه أنه قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير قوله تعالى **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ)** [3] فقال : أيا ثعلبه أمر بالمعروف وانه عن المنكر ، فإذا رأيت شحاً مطاعاً وهوي متبعاً ، ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأى برأيه ، فعليك بنفسك ودع عنك العوام ، فان من ورائكم فتناً كقطع الليل المظلم ، للمتمسك فيها بمثل الذي أنتم عليه أجر خمسين منكم [4].

و الله سبحانه وتعالى ربط النصر لعبادة المؤمنين في الأرض وتمكينهم فيها بضرورة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، قال تعالى **(وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ)** [5] فقط ربط النصر بإقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإن لم يفعلوا ذلك فلا يكون النصر حليفهم.

---

[1]- سورة آل عمران الآية ١٠٩

[2]- سورة آل عمران الآية ١١٤

[3]- سورة المائدة الآية ١٠٥

[4]- رواه أبو داود في سننه ١٢١/٤ كتاب الملاحم – باب الأمر والنهي رقم ٤٣٤١ ط دار الريان للتراث

[5]- سورة الحج الآية رقم ٤٠-٤١

وهذه الصفات جعلها الله سبباً لنصرة المسلمين الأوائل حيث فتح الله لهم الفتوحات ، ودانت لهم الأمم والشعوب ، فلما تركوا ذلك سلب الله منهم ملكهم ، وجعلهم أذلاء للكافرين[1]

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يعتبر من الجهاد في سبيل الله لان المؤمن الذي يصدع بالحق أمام الأشرياء ولا يخالفهم يعتبر من المجاهدين في سبيل الله ، ويؤد ذلك ما رواه أبو أمامه رضي الله عنه قال : عرض لرسول الله صلي الله عليه وسلم رجل عند الجمرة الأولى فقال يا رسول الله : أي الجهاد أفضل فسكت عنه ، فلما رمي الجمرة الثانية سأله ، فسكت ، فلما رمى جمرة العقبة وضع رجله في الغرز ليركب قال : أين السائل قال : أنا يا رسول الله قال : كلمة الحق عند ذى سلطان جائر [2]

لذلك توعد الله سبحانه وتعالى من يتعرض للآمرين بالمعروف و الناهين عن المنكر الوعيد الشديد ، وجعل قتلهم من أكبر الكبائر وأبشعها ، قال تعالى (إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ)[3]

فالإسلام حث علي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فأوجب علي الناس الإرشاد العام ليمتنع الضال عن شروره ، ويسير الخير في طريقه ، وذلك بإرشاد الدعاة الفضلاء الي الخير ومحاربة الآفات الفكرية والخلقية والاجتماعية ، فالرشيد عليه أن يهدي الضال والعالم عليه أن يعلم الجاهل . [4]

1- تفسير المنار للسيد محمد رشيد رضا ٥٤٢/١٠ ط دار المعرفة – الطبعة الثانية – بيروت

2- رواه ابن ماجه في سننه ٣٦٩/٢٠ كتاب الفتن – باب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر رقم ٣٢٤- ط دار إحياء الكتب العربية .

3- سورة آل عمران الآية ٢١.

4- الإمام محمد أبو زهرة – في المجتمع الإسلامي ص ٦٠٧ – ط دار الفكر العربي –د.ت .

المطلب الثالث

عوامل تطوير وسيلة الخطاب

لكي يتم تطوير الخطاب الإسلامي لابد من تغيير المنهج والأسلوب دون المساس بالأصول والثوابت ، فلابد من الدعية أن يراعي في خطابه المتغيرات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، أما الأسلوب القديم للمخاطبة فانه لا يصلح لمجاراة الحاضر، لذلك بدأ تأثيره يتراجع وينفصل عن الحياة بسبب لغة الخطابة من ناحية وقدرتها على التأثير على الآخرين بالإقناع من ناحية أخرى، بالإضافة إلى سلوكيات بعض المسلمين الخاطئة التي لا تمت بصلة للإسلام كدين ومنهج حياة ، مما أدى بالتالي إلى ضعف المسلمين وضعف شوكتهم وتمكن الأعداء منهم ، لذلك لابد من تغيير وسيلة الخطاب .

ويمكن تطوير وسيلة الخطاب الإسلامي عبر العوامل الآتية :

أولاً : إتقان العمل والاختيار الموفق

الخطاب له أهمية واضحة في حياتنا لما له من تأثير واضح على المخاطبين إما بالإيجاب أو السلب ، فبعض الدعاة من خلال الخطاب قد يؤثرون سلباً على المدعوين لأسباب ترجع إلى تقصير الداعية ، كأن يكون غير موفق في اختيار موضوعات الخطبة ، أو ليس لديه قدرة لإيصال المعلومة أو أن أقوالة تناقض أفعالة ، بالإضافة إلى التأثير الإعلامي اليومي على المخاطبين،، كل ذلك يؤدى إلى تغيير مسار الدعوة الإسلامية ومواقف الناس منها [1]

فخطبة الجمعة مثلاً أصبحت في غالب صورها تقليدية لا تقدم جديداً ، بالإضافة إلى عدم وجود الفقهاء بالمعني العام ، فأصبح الخطيب غير فقيه لا يملك إلا أدوات بسيطة منها الارتجال والحماس والذاتية والتركيز على الترغيب والترهيب ، وهذا مما أدي بالتالي إلى تدني الخطاب ، وعدم سموه ورفعته ليواكب العصر ، فقد يركز الداعية على قضايا

---

[1]- إصلاح الفكر الإسلامي مدخل إلى نظام الخطاب في الفكر الإسلامي المعاصر، طه جابر العلواني ، صـ١١ .

غير معاصرة قد سبق معالجتها في الماضي عن طريق النقل الحرفي من كتب العلماء دون التمييز بين ما نحن بحاجة إليه وبين ما لسنا بحاجة إليه ويترك التحدث في قضايا معاصرة خوفاً من المواجهة [1]

لذلك لابد للداعية أن يتقن عمله بأن يؤدي خطابا موفقا يربطه بالواقع المعاصر حتي يكون مؤثراً في قلوب المخاطبين .

ثانيا : عدم طرح الاختلاف بين الفقهاء أمام العامة

قد يلجأ الخطيب إلي إثارة الاختلافات الفقهية في القضايا والأحكام، بشكل يثير الاضطراب والارتباك لدى الجمهور، مما يؤدي إلى ما يشبه الفوضى الفكرية والفقهية، وهذا بلا شك يؤدي إلى نتائج سيئة تبدأ من تأخر القناعات، وتنتهي بتخلف الاستجابة.

إن معرفة الخلاف الفقهي من شروط الاجتهاد، وكذلك الإفتاء، وفي ذلك يقول هشام بن عبد الله الرازي : من لم يعرف الاختلاف فليس بفقيه.

وإذا كان الافتراق حول العقائد في جملته شرًّا، فإنه يجب أن نقرر أن الاختلاف الفقهي في غير ما جاء به نص من الكتاب والسُّنَّة لم يكن شرًّا، بل كان دراسة عميقة لمعاني الكتاب والسُّنَّة وما يستنبط منها من أقيسة، ولم يكن افتراقًا بل كان خلافًا في النظر، وكان يستعين كل فقيه بأحسن ما وصل إليه الفقيه الآخر، ويوافقه أو يخالفه[2].

وكان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه يسره اختلاف الصحابة في الفروع، ويقول: ما أحب أن أصحاب رسول الله ﷺ لم يختلفوا، لأنه لو كان قولًا واحدًا لكان الناس في ضيق، وإنهم أئمة يقتدى بهم، فلو أخذ أحد بقول رجل منهم لكان في سعة. وفي عبارة أخرى له أيضًا: ما يسرني أن لي باختلافهم حمر النعم [3].

وقال القاسم بن محمد بن أبي بكر : (لقد نفع الله باختلاف أصحاب النبي ﷺ في أعمالهم، لا يعمل العامل بعمل رجل منهم إلا رأى نفسه في سعة، أو رأى أن خيرًا منه قد عمله).

---

[1]- تجديد الخطاب الدعوي التحديات والآمال- د/عطية عدلان- مجلة البيان ص ١٤ ، ١٥

[2]- الإمام محمد أبوزهرة -المذاهب الإسلامية ، ص١٢- ١٦.ط المكتبات الإسلامية .القاهرة.

[3]- الموافقات للشاطبي ج ٤- ص ١٢٥.

وفي عبارة أخرى: (أي ذلك أخذت به لم يكن في نفسك منه شيء).

وقال يحيى بن سعيد : اختلاف أهل العلم توسعة، وما برح المفتون يختلفون فيحل هذا ويحرم هذا، فلا يعيب هذا على هذا، ولا هذا على هذا .

وروت السيدة عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ انه قرأ " هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات – الي قوله تعالي " أولو الألباب " قالت : فقال رسول الله ﷺ : فإذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمي الله فاحذروهم . [1]

وبالرغم من أن معظم المنقول عن العلماء يؤكد أن الخلاف فيه رحمةً وخيرًا، فقد روي عن بعض العلماء عكس ذلك، فعن مالك : ليس في اختلاف أصحاب رسول الله ﷺ سعة، وإنما الحق في واحد، وعن المزني : ذم الله الاختلاف وأمر بالرجوع عنه إلى الكتاب والسُّنَّة ،وقد جمع شيخ الإسلام ابن تيمية بين الاتجاهين، فبين أن الاختلاف قد يكون رحمة إذا لم يُفضِ إلى شر عظيم من خفاء الحكم ، إذ قد يكون خفاء الحكم على المكلف رحمة لما في ظهوره من الشدة عليه. وقد يكون عذاباً، فإن خفاء العلم بما يوجب الرخصة قد يكون عقوبة [2].

وإذا كان الخلاف في جانب من جوانبه أمراً حتمياً؛ لكون العقول تختلف في طرق التفكير، ولكون النصوص تحتمل أكثر من وجه؛ فإننا نستطيع أن نضيق من دائرته، ونخفف من حدته، ونجعله مقصوراً على الفروع دون الأصول، وان يكون محصوراً في دهاليز البحث العلمي وأروقة الدراسات الأكاديمية، ، ونجتهد في التماس الحق والتجرد له بقطع النظر عن هوية قائله، وهذا يستلزم إخلاصاً شديداً وتجرداً فريداً [3].

وبناءً علي ذلك فان ما نلاحظه علي الخطاب الإسلامي– من طرح بعض الخلافات الفقهية التي لا يفهمها عامة الناس أو لا طائلة من وراء ذكرها – عدة سلبيات كثيرة منها:

١– غياب الرؤية الفكرية المتحدة، والمشروع الدعوي الموَّحد، ومن ثم افتقاد الخطاب

---

[1]– رواه أبو داوود في سننه ج ٣ ص ٢٩٣ – كتاب السنة – باب النهي عن الجدل رقم ٤٦٠٠.

[2]– مجموع فتاوى ابن تيمية ١٥٩/١٤.

[3]–تجديد الخطاب الدعوي التحديات والآمال– د/عطية عدلان– مجلة البيان ص ١٥

الإسلامي المتفق عليه بين كثير من مؤسسات الدعوة ورجالات الفقه والشريعة.

٢- غياب الفتوى المتفق عليها في كثير من الأمور التي تهم الأمة وتمس شؤون دينها مثل رؤية الهلال، وتحديد العيدين، والفوائد المصرفية...الخ.

٣- تعطيل المؤسسات والمنابر المتخصصة والمؤهلة لتقديم المعرفة الإسلامية الصحيحة في بعض البيئات الإسلامية أو عرقلتها أو توظيفها لخدمة المآرب السياسية.

٤- التقوقع داخل مذهب فقهي أو عقدي معيّن، وفرضه في التعليم ووسائل الإعلام والثقافة وإصدار الفتاوى الدينية من خلاله، ثم تصدير هذا التوجه المذهبي الضيق إلى عامة المسلمين في العالم، بمختلف الوسائل والأساليب.

٥- التشبث برأي واحد في المسألة ومصادرة جميع ما عداه من وجهات النظر، والتشبث بالانفراد بالفهم والمسؤولية عن الدين.

٦- تجاهل أولويات القضايا في التأليف والكتابة فيما يعالج أزمات الأمة ويعمل على توحيدها وإصلاح ذات البين فيها، والعمل على التقدم والرقي بها، والاشتغال بدلاً من ذلك بالفتن المذهبية، وإيقاد نار الصراع والتنابذ والاتهامات بالزندقة أو الفسوق أو التكفير من خلال تأليف الكتب والمقالات وإصدار الأشرطة والبرامج المرئية الساخنة.

٧- التشديد والتضييق في فتاوى بعض العلماء فيما فيه سعة ومجال للاجتهاد.

٨- تحميل النصوص القرآنية والنبوية غير ما تحتمل وإساءة فهمها.

٩- فراغ كثير من الساحات والمنابر من المتخصصين القادرين وانكماشهم على أنفسهم نتيجة أوضاع سياسية معينة في بعض البيئات الإسلامية وإسناد هذه المهمة أو توليّها من قبل آخرين غير مؤهلين .

ثالثاً : مراعاة حال المخاطب

حيث أن بعض الدعاة لا يراعون حال المخاطب من الضيق أو المرض ، وغير ذلك من الأعذار ، لذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يطيل بالناس أثناء الموعظة وكان ينهي الصحابة عن الإطالة بالناس في الصلاة .

فعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال : جاء رجل إلي النبي ﷺ فقال له : أني لأتأخر عن صلاة الصبح من أجل فلان مما يطيل بنا ، قال ابن مسعود : فما رأيت النبي ﷺ غضب في موعظة قط أشد مما غضب يومئذ فقال : يا أيها الناس إن منكم منفرين فأيكم أم الناس فليوجز فان من ورائه الكبير والضعيف وذا الحاجة . [1]

ومن ذلك أيضا النقل من كتب أهل العلم دون مراعاة لحال المخاطبين فيقع التنافر الشديد بين الطرح من جهة وعقلية المتلقي من جهة أخري فالداعية العاقل الفطن يميز بين النافع من الضار والصحيح من السقيم .

ويؤكد ذلك ابن القيم فيقول " من أفتي الناس بمجرد المنقول من الكتب علي اختلاف عرفهم وعوائدهم وأزمنتهم وأحوالهم ، فقد ضل وأضل وكانت جنايته علي الدين أعظم من جناية من طبب الناس كلهم علي اختلاف بلادهم وعوائدهم وأزمنتهم وطبائعهم[2]"

كذلك مراعاة حال المخاطب إذا كان غير مسلم، فلابد من إتباع اللين والرفق معه وعدم إيذائه بالكلام أو الأفعال ، وليكن الكلام معه على المواطنة والأخوة في الإنسانية ، وليس على التفرقة أو التخوين أو وصفه بالكفر في وجهة ، فكم من سلوكيات وتصرفات بعض المسلمين مع غير المسلمين أدت إلى التنفير من رسالة الدين الإسلامي الحنيف ، بدلاً من جعلها صورة من صور الدعوة إلى الله كما كان يفعل المسلمون الأوائل أعزهم الله.

وكان الإمام على رضي الله عنه يوصي بمخاطبة الناس على قدر عقولهم ويقول مستنكراً حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله [3]

---

[1]- رواه مسلم في صحيحه ج ١ ص ٩٣ – كتاب الصلاة – باب أمر الأئمة بتخفيف الصلاة رقم ١٠٧٢ .

[2]- اعلام الموقعين عن رب العالمين للإمام ابن القيم ج ٣ ص ٧٨

[3]- رواه البخاري في صحيحة ج١ص٣٣ – كتاب العلم باب من خص بالعلم قوماً دون قوم – رقم١٢٧

ثالثاً : ضرورة التفاعل مع المخاطبين

قد يكون الداعية عالماً متكلماً لكنه لا يتفاعل مع المخاطبين لعدم قدرته على كسب قلوبهم ، لأن كسب القلوب تعد وسيلة إلى تقبل الخطاب ، فقد يقصر الداعية في معاملة الناس فتنشأ بينه وبين المخاطب فجوة تحول دون فهم الخطاب وتقبله ، ويؤيد ذلك ما رواه ابن عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال :المؤمن الذي يخاطب الناس ويصبر على إزائهم خير من المؤمن الذي لا يخاطب الناس ولا يصبر على إزائهم [1]

رابعا : ملائمة الخطاب للمكان و الزمان

إذا لم يدرك الداعية مدى ملائمة وجدوى خطابه في مكان دون الأخر ، وفي زمان دون الأخر وفإن تأثير خطابه يكون ضعيفاً ويفشل في الوصول إلى قلوب المخاطبين ، فالخطاب الذي يقال في بلد قد لا يكون له جدوى إذا القي في بلد أخر ، لذلك كان فقه الأمام الشافعي في العراق ينطوي على آراء معينة ، ولما ذهب رحمة الله إلى مصر قام بتغيير بعض آراءه لاختلاف المكان [2] ، وذلك لكونه أطلع على أمور لم يكن يعرفها فتوسعت مدارك عقله فراجع بعض آراءه السابقة ورجع عنها ، كذلك لابد للداعية أن يتدرج في بعض الأحكام لكن لا تنفر منه النفوس [3]

ان الدعاة في كثير من الأحيان لا يفرقون بين ما يقال ويطرح علي موائد خواص العلماء وبين ما يطرح في وسائل الإعلام وخاصة الفضائيات وأيضا عدم التفريق بين ما يصح تناوله في خطبة الجمعة والدروس العامة وبين ما يصح تناوله أثناء الدراسات الأكاديمية والمتخصصة .

وللتغلب على هذه العقبات لكي نصل الي تطوير الخطاب الإسلامي الذي يتسم بالقوة والقدرة على اقناع الآخرين واحترامهم له كعقيدة ومنهج حياة ، لابد من اتباع الآتي :

---

[1]- رواه البيهقي في السنن الكبري ج١ ص٨٨-كتاب الأدب- باب المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر علي أذاهم رقم ١٨٥٦٤، ابن ماجة في سننه ج١ ص ٤٠٤٢- كتاب الأدب رقم ٤٠٣٠

[2]- -خطابنا الإسلامي في عصر العولمة د/ يوسف القرضاوي - ص ١٧.

[3]- تجديد الخطاب الدعوي التحديات والآمال- د/عطية عدلان- مجلة البيان العدد(٣١٤) شوال ١٤٣٤ه – سبتمبر ٢٠١٣م

١- إعداد جيل يحمل العلم النافع والعمل الصالح والخُلق القويم لكي نصل إلي تهذيب النفس وتدقيق العقول وبناء الأمم وعقد الدورات التدريبية له فيحمل عبئ الأمانة العظمي أمانة الدعوة إلى الله عن طريق الخطاب

٢- الاهتمام بالداعية وتكريمه تكريماً معنوياً قبل التكريم المادي عن طريق وسائل الإعلام المختلفة ومؤسسات الدولة والتعليم،، ووقف كافة الأدوات التي يبثها الأعداء لمحاربته وتقليل هيبته عن طريق تشويهه واتهامه ببعض الاتهامات للنيل منه،وما يترتب على ذلك من التأثير في المخاطبين لينظروا إليه نظرة دنو وإقلال بدلاً من نظرة التكريم والإجلال

٣- ضرورة تطوير الخطاب الإسلامي الموجه إلى غير المسلمين بأن يكون مكثفاً ويجمع لغات العالم وعن طريق جميع وسائل الإعلام لنقل تعاليم الدين السمحة ومنهجه القويم لإصلاح البرية ، ودرء كل الشبهات التي يسمعها غير المسلمين عنه ، وأن يتم ذلك بشفافية كاملة ، وبلغة صريحة ، حتى يسترد الإسلام حقوقه المسلوبة منه مما وقع عليه من الجور والظلم بالتخطيط المستمر من أعدائه

٤- أن يكون الغرض من الخطاب هو لم شمل الأمة وضرورة اعتصامها بحبل الله وعدم تفريقها ، فلا يدعو إلى الفرقة والاختلاف الذي قد يدمر الأمة و يعبث بمقوماتها فيجب على الداعية أن يضع أمام اعتباره مسئوليته عن كل حديث يبوح به للمخاطبين، فلا يدعوا إلى الفتنة ولا إلى الحزبية والتعصب ، ولا إلى الاختلاف والتفرق ، حتي لا يكون من العلماء الذين يسوقهم علمهم إلى النار والعياذ بالله

٥- ضرورة تحلي الداعية بالعقيدة والخلق القويم والإخلاص لله تعالي ابتغاء الثواب من عنده ومراقبته مراقبه دائمة في الأقوال والأفعال

٦- الدعوة إلى الله أمانة ومسئولية عظمي لا يعقلها إلا أولي الألباب، لذلك يجب أن تكون رحمة وشفقه على المخاطبين جميعاً كي لا يقعوا في براثن الهاوية والندامة

٧- دعوة العقول لابد وأن تكون بالحجة والبرهان ودعوة النفوس عن طريق التزكية النفسية للالتزام بالإسلام سلوكاً وقولاً وفعلاً لكي تطهر النفوس من الأمراض والأوبئة .

٨- الالتزام بالصبر والاناة في الدعوة وتحمل المشاق والصعاب بعيداً عن الأهواء والمصالح الشخصية والمنافع المادية

٩- توجيه الخطاب واجب على القادر العالم أما هداية الناس والتزامهم بهذا الخطاب فهو شي من الإرادة الربانية قال تعلى" إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ"[1]

[1]- سورة القصص الآية ٥٥

المبحث الرابع

ثوابت ومتغيرات الخطاب الإسلامي

خص الله سبحانه وتعالي الشريعة الإسلامية بالجمع بين الثوابت والمتغيرات لتكون مرنة باقية من ناحية ، ومن ناحية أخري لكي لا يقع الناس في حرج ومشقة .

ومصطلح الثوابت والمتغيرات في الخطاب الإسلامي لم يكن معروفاً لدي الفقهاء القدامى ، ولكنه مصطلح حديث من حيث اللفظ ، فالله سبحانه وتعالي جعل في الإسلام ثوابت تضمن له الاستمرارية ، ولا تختلف باختلاف المكان ولا الزمان ، ومتغيرات تكفل له الصلاحية والبقاء ملائمة للظروف والملابسات ، ولا غنى لأحدهما عن الأخر

لذلك فإننا سوف نطرح كل من الثوابت والمتغيرات في مطلبين :

المطلب الأول : مفهوم الثوابت ومصادرها .

المطلب الثاني : مفهوم المتغيرات وأسبابها .

المطلب الأول

مفهوم الثوابت ومصادرها

الفرع الأول

مفهوم الثوابت

أولاً : الثوابت في اللغة : جمع الشئ الثابت وهو الدائم المستمر بدون انقطاع [1]

ثانياً : الثوابت في الاصطلاح : هي الأحكام التي دلت علها أدلة قطعية الثبوت والدلالة أو الإجماع الصحيح [2]

ويستخدم الأصوليون مصطلح الثابت في معنيين [3]

الأول : نفي الاحتمال أصلاً .

الثاني : نفي الاحتمال الناشئ عن دليل باعتبار ، والثاني هو الأعم ، فالاحتمال الناشئ عن دليل أخص من مطلق الاحتمال ، ونقيض الأخص اعم من نقيض الأعم فالثوابت تشمل أركان الإسلام الخمسة وأركان الإيمان والقيم والأخلاق الثابتة ، والأسس العامة لأحكام الأسرة ، والأحكام والمبادئ العامة للمعاملات ، والجهاد والقضاء، ونحو ذلك من الأصول القطعية المتفق عليها .

وبناء على ذلك فثوابت الخطاب الإسلامي التي لا يجوز المساس بها ولا تقبل التغير أو التجديد تتمثل في الآتي

١- أصول الدين الثابتة بالأدلة الصحيحة ، كوجود الله تعالي ، وصفاته وأركان الإسلام الخمسة، والإيمان بالرسل والأنبياء والملائكة والجن والجنة والنار والبعث والموت والحساب ، ونحو ذلك .

---

[1]- لسان العرب لابن منظور – مادة ثبت – ج ١ ص ٢٩٥

[2]- الثوابت والمتغيرات في الفقه الإسلامي والفقه الغربي – د/ شير على ظريفي – رسالة دكتوراه مُقدمة إلى الجامعة الإسلامية – إسلام آباد سنة ٢٠٠٦ م ص ١٤

[3]- كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى-٥/١٢٠٠ ط دار صادر بيروت – لبنان

٢- الأمور المعلومة من الدين بالضرورة ، كوجوب الصلاة والزكاة والحج ، وحرمة الزنا والربا وشرب الخمر والظلم والكذب ، فإنكار هذه الأمور يستوجب الكفر والعياذ بالله .

٣- الأخلاق والفضائل الحميدة ، والبعد عن الرذائل ، وهذه الأمور معلومة من جهة الشرع والعقل والفطرة .

٤- المقادير الشرعية التي بينها الله سبحانه وتعالي ورسوله كالحدود ومقادير الزكاة ، وأنصبة الميراث والكفارات .

٥- الأحكام والأسس التي تبني عليها الأسرة في الإسلام ، والمبادئ العامة التي تحكم المعاملات ، ونصب الإمام والقاضي والجهاد .

٦- القواعد الكلية التي يبني عليها التشريع الإسلامي لأنها مأخوذة منه والتشريع ثابت بنص قطعي ، فكذلك القاعدة الفقهية المستنبطة منه ، مثل قاعدة " الأمور بمقاصدها " ، والضرر يزال وغير ذلك[1].

والعبث بالأصول والثوابت الشرعية يعد جناية على الدين ، وإخلالا بحتمية الالتزام به وهذا لا يصطدم مع حرية الاعتقاد ؛ لأنها تكون للإنسان قبل إسلامه ، فله أن يدين بغير الإسلام ، ولا يجبر ولا يكره على تغيير ديانته إلى دين الإسلام ، وهذا هو المعنى بقوله تعالى: (لا إكراه في الدين) [2] .

أما إذا رضي الإسلام ديناً فيجب عليه الوفاء والالتزام به ، فهناك فرق بين مشرك معروف عداوته للإسلام ومسلم انتسب إلى الإسلام، فالمشرك إذا طعن في الإسلام وتطاول على الأصول والثوابت الشرعية يعد محارباً يجب التصدي له حماية للدين الذي هو قوام الحياة وسرها أو ناقضا للعهد .

1- الأشباه والنظائر لابن بخيم الحنفي ص ٢٧ ط دار الكتب العلمية – بيروت لبنان سنة ١٩٨٩م

2- سورة البقرة الآية ٢٥٦

فما بالنا بالمسلم حين يخرج على هذا الدين الشبه والفتن التي ترمي إلى العبث والتشكيك ، أفلا تكون معاقبته أولى وأشد لأنه ارتكب الكبيرة "[1]

فالأحكام التي مصدرها النص لا تتغير بتغير الزمان أو المكان ؛ لأنها جاءت مراعية لمصالح الناس التي لا تتغير بتغير الزمان أو المكان .

يقول ابن حزم " " إذا ورد النص من القرآن أو السنة الثابتة في أمر ما علي حكم ما ، فصح أنه لا معني لتبدل الزمان ولا لتبدل المكان ولا لتغير الأحوال ، وأن ما ثبت فهو ثابت أبداً في كل زمان و في كل مكان وعلي كل حال حتي يأتي نص ينقله عن حكمه في زمان أخر أو مكان أخر أو علي حال أخري "[2] .

---

[1]- كشاف اصطلاحات الفنون للتفهانوى ١٢٠٠/٥ ط دار صادر بيروت – لبنان.

[2]- الاحكام في أصول الأحكام لابن حزم – ج٥ –ص ٧٧١ – ٧٧٤ – ط دار الحديث – القاهرة – سنة ١٤٠٤هـ .

الفرع الثاني

مصادر ثوابت الخطاب الإسلامي

مصدر الثوابت هو الدليل التفصيلي المأخوذ من الكتاب والسنة والإجماع والقياس.

(١) الكتاب هو كلام الله تعالي المنقول إلينا نقلاً متواتراً فهو قطعي الثبوت ، أما دلالته على الأحكام فقد تكون قطعية وقد تكون ظنية.

(٢) السنة هي كل ما صدر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير وأعلى درجات السنة هو الخبر المتواتر الذي يرويه عدد يستحيل تواطؤهم على الكذب ، ثم يأتي بعد المتواتر الخبر المشهور وهو الذي رواه واحد في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، ثم اشتهر في عهد الصحابة والتابعين حتى كتبت السنة ، ثم خبر الآحاد وهو ما رواه واحد ولكن لم يشتهر في عصر الصحابة رضوان الله عليهم ، والخبر المتواتر يفيد القطع واليقين وأما الخبر المشهور فهو يوجب القطع واليقين أيضاً ، ولكن جاحده لا يحكم عليه بالكفر[١].

أما خبر الآحاد فهو بوجوب العمل به دون اليقين فهو يوجب الظن ، ولكن يعمل به بضوابط معينه

(٣) الإجماع فهو اتفاق المجتهدين من هذه الأمة في عصر من العصور على أمر شرعي، فهو أيضاً من الثوابت لقول النبي صلى الله عليه وسلم:" لا تجتمع أمتي على ضلالة[٢]

(٤) **القياس:** وهو إثبات مثل حكم معلوم في معلوم آخر لاشتراكهما في علة الحكم عند المثبت، مثل قياس الخمر علي النبيذ في الحرمة لوجود العلة المشتركة بينهما وهي الاسكار[٣] ،ويري البعض أن القياس لا يعتبر من ثوابت الخطاب الإسلامي لخلاف

---

[1]- أصول السرخسي للإمام محمد بن أبي سهيل السرحسي ص ٢٨٢ ط دار المعرفة بيروت.

[2]- رواه ابن ماجه في سننه – كتاب الفتن ١٨٥/٢ رقم ٣٩٥٠ ط دار الفكر – بيروت – لبنان.

[3]- الإحكام في أصول الأحكام للآمدي ج٣ ص ٣٣٥ ، ٣٣٦ .

الفقهاء في حجيته حيث ذهب أهل الظاهر والمعتزلة إلى إنكاره[1]

وهذه المصادر السابق ذكرها تشكل الأساس الأول الذي يقوم عليه الخطاب الإسلامي،فلا يجوز الاجتهاد فيها، فلا يجوز الاجتهاد مثلاً في تعطيل فريضة الزكاة على اعتبار أن الضرائب بديلاً عنها أو إباحة الزنا أو شرب الخمر لتشجيع السياحة التي تدر دخلاً على البلاد ، وهكذا فالاجتهاد لا يصح أن يكون في الثوابت [2] .

وهناك مصادر أخرى مختلف فيها، كالمصالح المرسلة، والاستحسان، وسد الذرائع، وهذه تبقى شبه أدلة وما تفرع عنها بصحيح يندرج أيضا تحت مسمي الخطاب الإسلامي[3].

---

[1]– كشف الأسرار عن أصول البزدوي للبخاري ١٤/٤ ط دار الكتاب العربي بيروت سنة ١٣٩٣ ه

[2]– الكليات لأبي البقاء ص ٢٩٤ ط مؤسسة الرسالة – بيروت

[3]– الشخصية الإسلامية –تقي الدين النبهاني " –الجزء الثالث – أصول الفقه"، الطبعة الثالثة، دار الأمة للطباعة والنشر، بيروت، من منشورات حزب التحرير، (٢٠٠٥) ص٤٠٤.

المطلب الثاني

متغيرات الخطاب الإسلامي

الفرع الأول

مفهوم المتغيرات

المتغير : هو الشئ غير الثابت ، وغير المستقر .

أو هو الاختلاف في الصور والحقائق أو في أحدهما ، فالتغيير هو عبارة عن تبديل صفة إلى صفة أخرى مثل تغير الأحمر إلى الأبيض والتغيير إما يكون في ذات الشئ أو جزئه أو الخارج منه [1]قال تعالي " إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ "[2]

وبناء على ذلك : فإن متغيرات الخطاب الإسلامي هى الأحكام التي ثبتت بدليل ظنى الثبوت أو الدلالة وتعلقت بمتغيرات.مثل العرف أو المصلحة ونحو ذلك[3]

وذهب البعض إلى أن المقصود بالمتغيرات هي الفروع الفقهية[4]

وبناءً علي ذلك فان دائرة الظنيات تشمل :

١- الأحكام الشرعية الثابتة ، وكونها ظنية ليس معناها بأنها خارج إطار الشريعة وأنها غير ملزمة، وذلك ؛لان الظن واليقين في مرتبة الجزم بالحكم ويجب الإيمان به

٢- الأحكام الظنية المختلف فيها : فكل حكم اختلف العلماء فيه يجوز أخذ أي من الآراء المنصوص عليها فيه ولكن وهذه الاختلافات الفقهية لا تغير من قبيل المتغيرات والاختلاف الموجود فيها إنما هو اجتهاد وليس تغير ، فالمتغير هو الحكم الاجتهادي الذي يرتبط بالعرف أو المصلحة أو بتغير الزمان والمكان .

1- الشخصية الإسلامية – تقي الدين النبهاني " الجزء الثالث – أصول الفقه"، الطبعة الثالثة، دار الأمة للطباعة والنشر، بيروت، من منشورات حزب التحرير، (٢٠٠٥) ص٤٠٤.

2- سورة الرعد الآية ١١.

3- الثوابت والمتغيرات بين الفقه الإسلامي والقانون الغربي ص ٧٠ ، ٧١

4- الاجتهاد للإمام الجويني ص ٢٥–ط دار المطبوعات الحديثة – بيروت .

الفرع الثاني

أسباب تغير الخطاب الإسلامي

الشارع راعي في تشريع الحكم كل من العرف والمصلحة ، وتغير الأحوال والمصالح الخاصة بالمكلفين ، لذلك فإن الخطاب الإسلامي يمكن تغييره إذا كان مشتملاً على أحد هذه الأمور .

ففي زمن الشاطبي مثلاً كان كشف الرأس للرجل من الأفعال المخلة بالمروءة والتي تقدح في العدالة ، أما في بلاد المغرب فإن الأمر يختلف فإن كشف الرأس لا يعتبر مخلاً بالمروءة ، وبالتالي لا يكون قادحاً في العدالة [1]

وبناء على ذلك فإن أسباب تغير الحكم في القضايا التي يثيرها الخطاب الإسلامي تتمثل في التالي :

أولاً : تغير الخطاب استناداً إلى الاجتهاد

الاجتهاد هو استفراغ الجهد في درك الأحكام الشرعية ،والاجتهاد له تأثير في تغيير الحكم ،فقد يرى المجتهد رأياً ثم يعدل عنه لحق ظهر له ، أو لاختلاف العصر، أو بسبب تغير العرف أو لفساد الأخلاق ،أو لظهور حاجة الناس ، أو مراعاة لظرف الضرورة ، والأمثلة على ذلك كثيرة نذكر منها :

١- كتاب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري حيث قال فيه " ولا يمنعك قضاءً قضيته بالأمس فراجعت فيه نفسك وهديت فيه لرشدك أن ترجع إلى الحق فإن الحق قديم ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل " [2]

٢- لما وقف عمر بن الخطاب للناس وأراد أن يجعل حداً لمغالاة المهور راجعته أمرة قائلةً له " أيعطينا الله وتمنعنا " وتلت قوله تعالي " وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا "[1]

---

[1]- الموافقات للإمام الشاطبي ٢٨٢/٢ .

[2]- أعلام الموقعين عن رب العالمين للإمام ابن القيم ج١ ص ٨٥/٨٦.

فرجع عمر عن اجتهاده لما تبين له الحق وقال : أصابت امرأة وأخطأ عمر .

٣- تغير بعض اجتهادات الإمام الشافعي وآراءه لما ذهب إلى مصر، وهو ما يعرف في الفقه الشافعي بمذهب الشافعي في القديم ، ومذهب الشافعي في الجديد [٢]

فرجوع المجتهد عن رأيه من متغيرات الخطاب الإسلامي نظراً لظهور الحق للمجتهد ؛ لان المجتهد متى ظفر بالحق حكم به ، فإذا ظهر خلاف ذلك في المستقبل فإن المجتهد يغير حكمه استناداً إلى ما ظهر له .

ثانياً :تغير الخطاب استناداً إلى السياسة الشرعية

السياسة الشرعية هي : ما كان من الأفعال بحيث يكون للناس معه أقرب إلى الصلاح وأبعد من الفساد[٣]، وقيل هي:تبين الشئون العامة للدولة الإسلامية بما يكفل تحقيق المصالح ودفع المضار بما لا يتعدى حدود الشريعة وأصولها الكلية وإن لم يتفق وأقوال المجتهدين"[٤]

فالسياسة الشرعية معناها أن يلزم الإمام المحكومين بحلول شرعية في مسائل مختلف فيها بحيث يراعي فيها مصالح الناس، فالسياسة الشرعية ملزمة للأفراد من جهة الحاكم والأمثلة على ذلك كثيرة نذكر منها :

١-اتخاذ ولى الأمر للتسعير الجبري في حالة غلاء الأسعار ومنع الاحتكار وذلك لوجود المصلحة العامة للكافة [٥]

1- سورة النساء الآية ٢٠

2- المدخل فى التشريع الإسلامي -د/ محمد عبد المقصود جاب الله صـ ١٤٤، ، 145.-ط دار المطبوعات الجامعية – القاهرة .

3- الطرق الحكيمة لابن القيم ص ١٥ ط دار الشعب – مصر

4- السياسية الشرعية – د/ عبدا لوهاب خلاف – ص٤٥ – مؤسسة الرسالة – بيروت – الطبعة الثانية عام ١٩٨٧م .

5- الطرق الحكيمة لابن القيم ص ٢٨٤

٢- السلطة التقديرية التي تركها الشارع لولي الأمر في العقوبات التعزيرية ، و في الاختيار للأسرى بين الرق والقتل والمن والفداء ، وكذلك الاختلاف في تقسيم العطاء بين المهاجرين والأنصار كما فعل ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه [١]

ثالثاً : تغير الخطاب الإسلامي استناداً إلى العرف أو المصلحة

العرف هو ما اعتاد عليه الناس من كل فعل شاع بينهم أو لفظ تعارفوا على اطلاقه لمعنى خاص لا يتبادر غيره عند سماعه ، ويشترط للعمل به أن لا يكون مخالفاً لنص شرعي أو أصل قطعي [٢]

والعرف له اعتبار في الشرع فالحكم قد يدار عليه ، وقد ثبت أن العرف قد يبني عليه الحكم في مسائل كثيرة ، وبعض الفقهاء جعلوه أصلاً من أصول التشريع[٣]

لذلك فقد يتغير الخطاب الإسلامي استناداً إلى العرف أو المصلحة .

والأمثلة على ذلك كثيرة نذكر منها :

(١) ما أفتي به متأخرو الحنفية بجواز أخذ الأجرة على تعليم القرآن الكريم ونحوه من علوم الفقه والتفسير، بالرغم من وجود فتوي سابقة في المذهب لا تجيز أخذ الأجرة والسبب في تغير الفتوي هو انقطاع عطايا المعلمين التي كانت تدفع لهم في الصدر الأول مما أدي إلى لجوءهم للتكسب من حرفة أو صناعة وترك تعليم القرآن الكريم ، وهذا يؤدي الى ضياع القرآن الكريم وعلوم الفقه ، لذلك تغيرت فتواهم لاختلاف العصر والزمان . [٤]

قال ابن عابدين معلقاً علي ذلك " فكثير من الأحكام تختلف باختلاف الزمان لتغير عرف أهله أو لحدوث ضرورة أو فساد أهل الزمان بحيث لو بقي الحكم على ما كان عليه

---

[1]- الأشباه والنظائر لابن نجيم الجنفي ١٥٨/١ -ط دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان

[2]- أصول الفقه الإسلامي – د/ وهبة الزحيلي – ج ٢ ص ٨٢٩ ط دار الفكر – دمشق .

[3]- مجموعة رسائل ابن عابدين ١٤٢/٢ ط دار إحياء التراث العربي – بيروت .

[4]- شرح العناية علي الهداية للبابرتي بهامش فتح القدير ج٧ ص ١٨٠ ط دار الفكر – بيروت- لبنان .

أولاً للزم منه المشقة والضرر بالناس ، ومن ذلك إفتاؤهم بجواز الاستئجار على تعليم القرآن ونحوه " [1] .

(٢) صيغ المعاملات المالية بين الناس ، والعادات الخاصة بالزواج، فقد تكون العادة أن يدفع المهر كاملاً قبل الدخول أو بعضه أو يؤجل كله .

قال ابن القيم :" ما يتغير بحسب اقتضاء المصلحة له زماناً ومكاناً وحالاً فان الشرع ينوع فيها بحسب المصلحة "[2]

1- رسائل ابن عابدين ١٢٣/٢ ١٢٤

2- اغاثة اللهفان من مصايد الشيطان لابن القيم الجوزية ج ١ ص ٢٧٣

خاتمة البحث

تم بعون الله وتوفيقه كتابة هذا البحث الذي تناولت فيه الخطاب الإسلامي – ضوابطه وعوامل تطويره ، وبعد :

فهذا جهد المقل وبضاعته المزجاة، قصدت به وجه الإله، ثم النصح لمن كانت الفاحشة بلواه، والتنبيه لمن عافاه مولاه سائلا مولاي وخالقي أن يسدد قصدي، وينفعني به ومن بعدي، والباب مفتوح والصدر مشروح، لمن أراد أن يصحح خطأ، أو يقدم خيرا . ، وأفضلهم عندي من أهدى إلي عيبي، ولا نزيد على ما قاله عماد الأصفهاني " رأيت انه لا يكتب إنسان كتاباً في يومه إلا قال في غده لو غير هذا لكان أحسن ، ولو زيد كذا لكان يستحسن، ، ولو قدم هذا لكان أفضل ، ولو ترك هذا لكان أجمل ، وهذا من أعظم العبر ، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر.

ولقد ختمت بذا الختام مقالتي وعلى الإله توكلي وثنائي إن كان توفيق فمن رب الورى والعجز للشيطان والأهواء.. وصل اللهم وسلم على سيدنا وحبيبنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم . ...

النتائج

من خلال ما تم في هذا البحث يمكن تقديم النتائج الآتية :

١- الخطاب الإسلامي مسئولية كبري، وشرف عظيم لمن سخره الله لحمل رسالة الأنبياء والمرسلين.

٢- رسالة الإسلام تقوم علي الدعوة اليه بالحكمة واللين والموعظة الحسنة.

٣- تجديد الخطاب الإسلامي الذي يمس الثوابت أمر مرفوض من العلماء المخلصين العاملين .

٤- وسائل توصيل الأفكار والمعلومات للآخرين لابد وان تتناسب مع مستجدات العصر الذي نعيش فيه.

٥- الفتوي مسئولية عظمي يتولاها المتخصصين في الفقه وليس لأحد غيرهم أن يتصدر للفتوي.

٦- مراعاة الوسطية ،والبعد عن التشدد سمة وخاصية من خصائص التشريع الإسلامي

٧- المذاهب الفقهية رحمة للناس واختلافاتها إنما يكون في الفرعيات .

٨- تطوير الخطاب الإسلامي ضرورة ملحة من ضرورات العصر

٩- ثوابت الخطاب الإسلامي لا يجوز المساس بها أو الاجتهاد فيها

١٠- متغيرات الخطاب الإسلامي استنادا إلي العرف أو المصلحة العامة ضرورة مراعاة لحاجة الناس .

التوصيات

١- . تكوين هيئة إسلامية عليا من رجال الفكر والدعوة المشهود لهم بالعلم والجدية وإخلاص العمل لله، لتضع خططا وبرامج علمية شاملة لتطوير الخطاب الإسلامي بكل مستوياته وصوره وأساليبه، بما يمكنه من مواجهة الحاضر والمستقبل،

٢- تخصيص أقسام أو شعب في كليات الشريعة للدعوة والإعلام لتخرج متخصصين في هذا المجال، قادرين على أداء رسالتهم بما تمليه مستجدات الحياة وتتطلبه مواجهة العصر.

٣- التأكيد على مبدأ الوسطية والاعتدال كما يراه الإسلام وذلك من خلال المقررات الدراسية والأنشطة الثقافية والاجتماعية الترفيهية، ومن خلال الخطب الجمعية

٤- ضرورة قيام الحكومات العربية والإسلامية بإعادة النظر في آليات الخطاب الديني عامة، والخطاب الإعلامي خاصة، وإسناد أمانات هذه المواقع الحساسة إلى أهلها المتخصصين.

٥- الاهتمام بالآداب الإسلامية وترجمتها إلى لغات الشعوب الإسلامية

٦- الاهتمام بالأعمال الدرامية التي تخدم الدعوة والقضايا الإسلامية والعمل على تمكينها من منافسة دراما العالم المعاصر.

٧- إعداد موسوعة إعلامية شاملة بكل لغات العالم الحية، وذلك بأقلام المتخصصين لتعريف العالم بالإسلام الحق.

٨- إصدار الموسوعات والكتب المؤلفة عن الإسلام ذات المستوى الرفيع وترجمتها إلى عدة لغات حية وتوزيعها على مؤسسات التعليم والبحث العلمي، ومؤسسات الثقافة والإعلام في كل دول العالم.

٩- ضرورة قيام الخطاب الإسلامي المعتدل بالتواصل والحوار مع مؤسسات الأمم الأخرى العلمية والثقافية والدينية والتربوية والسياسية.

مصادر البحث

١- إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان لابن القيم الجوزيـــة – ط دار التـــراث العربـــي – القاهرة – الطبعة الأولي – سنة ١٩٨٣ م .

٢- الأحكام في أصول الأحكام لابن حزم ، الباب الثالث والعـشرون ، ط دار الحـــديث ، القاهرة ، ١٤٠٤هـــ.

٣- الإحكام في أصول الأحكام للآمدي – ط دار الكتاب العربي – سنة ١٤٠٤ه

٤- الأدب المفرد للبخاري" –ط دار ابن كثير– سنة ١٤١٤ ه.١٩٩٣ م.

٥- الأشباه والنظائر لابن نجيم الحنفي – ط دار الكتب العلمية – بيروت لبنان ١٩٨٩م

٦- المذاهب الإسلامية للشيخ أبي زهرة، – ط المكتبات الإسلامية – القاهرة.

٧- السيرة النبوية لابن هشام ، ط دار الفجر للتراث دار الفجر للتراث الطبعة الأولي، سنة (١٩٩٩م)

٨- إصلاح الفكر الإسلامي مدخل إلى نظام الخطاب في الفكر الإسلامي المعاصـــر، طـــه جابر العلواني ، سلسلة قضايا إسلامية معاصرة.

٩- الخطاب الإسلامي بين الواقع والمأمول ، محمد بن موسى الشريف مقال منشور علي شبكة الانترنت http://www.isesco.org.ma/pub/arabic/Khitab/P2.htm

١٠- " الخطاب الديني والصراعات الدولية "، عبدالعزيز شادي مجلة شؤون عربية، تصدر عن الأمانة العامة لجامعة الدول العربية(٢٠٠٢) .

١١- السياسية الشرعية – عبدا لوهاب خلاف – مؤسسة الرسالة – بيروت – الطبعة الثانية سنة١٩٨٧ م .

١٢- أصول السرخسي للإمام محمد بن أبي سهيل السرحسي – ط دار المعرفة بيروت

١٣- إرشاد الفحول للشوكاني – ط دار المعرفة – بيروت .

١٤- أنوار الأصول في أحاديث الرسول للترمذي – ط دار الجيل – بيروت

١٥-الإسلام وتطوير الخطاب الديني، رابطة الجامعات الإسلامية ،
الكليات لأبي البقاء – ط مؤسسة الرسالة – بيروت .

١٦- الخراج لأبى يوسف – المكتبة السلفية– دار المعرفة ط سنة ١٣٩٦ هـــ.

١٧- الآداب الشرعية والمنح المرعية لابن مفلح المقدســـي ـــ ط مؤسسة الرسالة د.ت.

١٨- المغنى لابن قدامـــة المقدســـي–. ط دار الفكر ـــ بيروت ـــ د.ت .

١٩- التفسير لابن القيم الجوزية –، ط دار الريان للتراث سنة ١٤١٤ ه.

٢٠- إعلام الموقعين عن رب العالمين للإمام ابن القيم ط دار الفكر بيروت – لبنان .
٢١- الطرق الحكيمة لابن القيم – ط دار الشعب – مصر.
٢٢- الاجتهاد للإمام الجويني – ط دار الفكر – بيروت.
٢٣- الموافقات للإمام الشاطبي – ط دار الكتب العلمية – بيروت سنة ١٤٢٤ ه
٢٤- أصول الفقه الإسلامي – للدكتور وهبة الزحيلي –ط دار الفكر – دمشق
٢٥- المسئولية الإعلامية في الإسلام ، د/ محمد سيد محمد – ط مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م ، دار الرفاعي بالرياض.
٢٦- الخطاب الإسلامي بين الأصالة والمعاصرة – د/عبدالعزيز التويجري- موقع المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة على شبكة الانترنت http://www.isesco.org.ma/pub/arabic/Khitab/P2.htm:
٢٧- التليفزيون الإسلامي ودوره في التنمية د/ عادل الصيرفي ، يحيى بسيوني ، ط عالم الكتب – القاهرة .
٢٨- الثوابت والمتغيرات في الفقه الإسلامي والفقه الغربي – د/ شير على ظريفي – رسالة دكتوراه مقدمة إلى الجامعة الإسلامية – إسلام آباد سنة ٢٠٠٦ م
٢٩- الإسلام وحقوق الإنسان ـ د / صبحي عبده سعيد ـ ط جامعة القاهرة والكتاب الجامعي ـ الناشر دار النهضة العربية ـ القاهرة ـ سنة ١٩٩٤م
٣٠- الدولة الإسلامية "- تقي الدين النبهاني – الطبعة السابعة، دار الأمة للطباعة والنشر، بيروت، من منشورات حزب التحرير،(٢٠٠٢)
٣١- الخطاب الإسلامي مشكلة أم حل ، تركي العجبان- جريدة الأيام البحرينية ، ١٨/١٠/٢٠٠٩م ، العدد ٨٥٥٨ ، السنة الرابعة والعشرون.
٣٢- 'الخطاب الديني بين التجديد الإسلامي والتبديد الأمريكاني' د/ محمد عمارة – دار الشروق الدولية، القاهرة. سنة (٢٠٠٤) "
٣٣- المدخل فى التشريع الإسلامي- د/ محمد عبد المقصود جاب الله- ط دار المطبوعات الجامعية – القاهرة .
٣٤- المدخل للفقه الإسلامي- د/ محمد علي محجوب- ط شركة ناس للطباعة- القاهرة
٣٥- العلاقة بين حاكمية الوحي واجتهاد العقل – د/ عبدالمجيد السوسوة – بحث منشور بمجلة الشريعة والدراسات الإسلامية- الكويت العدد(٣٩) ١٤٢٠ ه- ١٩٩٩ م.

٣٦-تأويل الخطاب الديني في الفكر الحداثي الجديد"، أحمد عبدالله الطيار- حولية كلية أصول الدين بالقاهرة، العدد (٢٢) (٢٠٠٥م)، المجلد الثالث،
٣٧-تاريخ الفقه الإسلامي -د/ محمد أنيس عباده- ط - المكتبات - الاسكندرية.
٣٨-تاريخ العالم الإسلامي - د/ علي حسن الخربوطلي - ط معهد الدراسات الإسلامية سنة ٣٩٦ ه -١٩٧٦م.
٣٩-تجديد الخطاب الدعوي التحديات والآمال- د/عطية عدلان- مجلة البيان العدد(٣١٤) شوال ١٤٣٤ه - سبتمبر٢٠١٣م.
٤٠-تجديد الخطاب الديني.- د/ سلمان فهد العودة : مقال منشور بشبكة المعلومات (الانترنت)
٤١-تجديد الخطاب الإسلامي - د/ إبراهيم الدرويش : حوار أجراه معه عبد الله الزهراني ، ١/١/٢٠١٠.
٤٢-تجديد الخطاب الديني لماذا ؟ عزيز عبد الواحد عنوان الموقع علي شبكة الانترنت. .http://tawasol/maBalat/mgo/o200039-0-htm
٤٣-تفسير المنار للسيد محمد رشيد رضا -ط دار المعرفة - الطبعة الثانية - بيروت.
٤٤-تفسير فتح القدير للكمال بن الهمام ، ط مؤسسة الرسالة.
٤٥-تفسير الطبري - ط دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - الطبعة الرابعة سنة ١٤٢٦ ه - ٢٠٠٥ م
٤٦-جامع البيان عن تأويل آي القرآن - ط دار الفكر - بيروت.
٤٧-جدل العقل والنقل في الفكر القديم -- د / محمد الكتاني - ط دار الثقافة -الدار البيضاء - المغرب -الطبعة الأولي - ١٤١٢ه-١٩٩٢م .
٤٨-جريدة الاتحاد الإماراتية تاريخ النشر ٥- ابريل ٢٠١٣م .
٤٩-حاشية البجيرمي- ط المكتبة الإسلامية ـ ديار بكر ـ تركيا.
٥٠-حقوق الإنسان في الإسلام - د/ عبد الرحمن العدوي ، ط الصفا والمروة أسيوط
٥١-خصائص الخطاب الإسلامي -محاضرة بقرية الفنون والحرف ، جمعية القدس للبحوث الإسلامية ، د/ ماهر أحمد السوسي مايو ٢٠١٠م.
٥٢-خصائص خطابنا الإسلامي في عصر العولمة - د/ يوسف القرضاوي - مقال منشور عام ٢٠٠٧ م .

٥٣- دلالة المفهوم والمصطلح - د / عصام البشير: الخطاب الإسلامي - ورقة مقدمة في الندوة العلمية المتخصصة في قضايا الدعوة الإسلامية ، السودان ، ٢٠٠٨م.
٥٤- دور الخطاب الديني في دعم المرأة ، مؤتمر عقد بالأقصر، مصر، البرنامج التنموي للمرأة والطفل التابع للمجلس القومي للمرأة ، يناير ٢٠١١.
٥٥- سمات الخطاب الإسلامي ، د/ جمال فتحي محمد نصار- بحث مقدم إلى مؤتمر الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين ، بيروت في الفترة من ٢٨ - ٢٠١١/٧/٢٩م.
٥٦- رسالة السياسة للشيخ الرئيس ابن سينا ـ ط مؤسسة الجامعة ـ الإسكندرية .
٥٧- زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم -ط دار الفكر - بيروت.
٥٨- سنن ابو داوود- ط دار الحديث .د.ت.
٥٩- سنن النسائي ط دار الكتب - العلمية - بيروت - لبنان.
٦٠- سنن أبو داود - ط دار الريان للتراث.
٦١- سنن ابن ماجه - ط دار إحياء الكتب العربية .
٦٢- سنن ابن ماجه -ط دار الفكر - بيروت - لبنان
٦٣- شرح العناية علي الهداية للبابرتي بهامش فتح القدير -ط دار الفكر - بيروت.
٦٤- شرح النووي علي صحيح مسلم -ط دار الخبر سنة ١٤١٦ه-١٩٩٦م .
٦٥- صحيح البخاري - ط دار الشعب - مصر .
٦٦- صحيح مسلم - ط دار إحياء التراث العربي - بيروت.
٦٧- صحيفة الوسط البحرينية ، العدد ١١٩٠ ، الجمعة ٩ ديسمبر ٢٠٠٥ ، ٨ ذي القعدة ١٤٢٦.
٦٨- فتح الباري شرح صحيح البخاري- ط دار الريان للتراث سنة ١٤٠٧ه-١٩٨٦م.
٦٩- فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل- ط دار الريان للتراث سنة ١٤٠٣ ه - ١٩٨٣م.
٧٠- في التشريع الإسلامي - د/ محمد نبيل غنايم - ط دار الهداية للطباعة - القاهرة - الطبعة الأولي- سنة ١٤٠٧ه ١٩٨٦م .
٧١- في المجتمع الإسلامي - الإمام محمد أبو زهرة- ط دار الفكر العربي -د.ت .
٧٢- كشاف اصطلاحات الفنون للتفهانوى - ط دار صادر بيروت - لبنان.
٧٣- كشف الأسرار عن أصول البزدوي للبخاري - ط دار الكتاب العربي بيروت - سنة ١٣٩٣ ه.